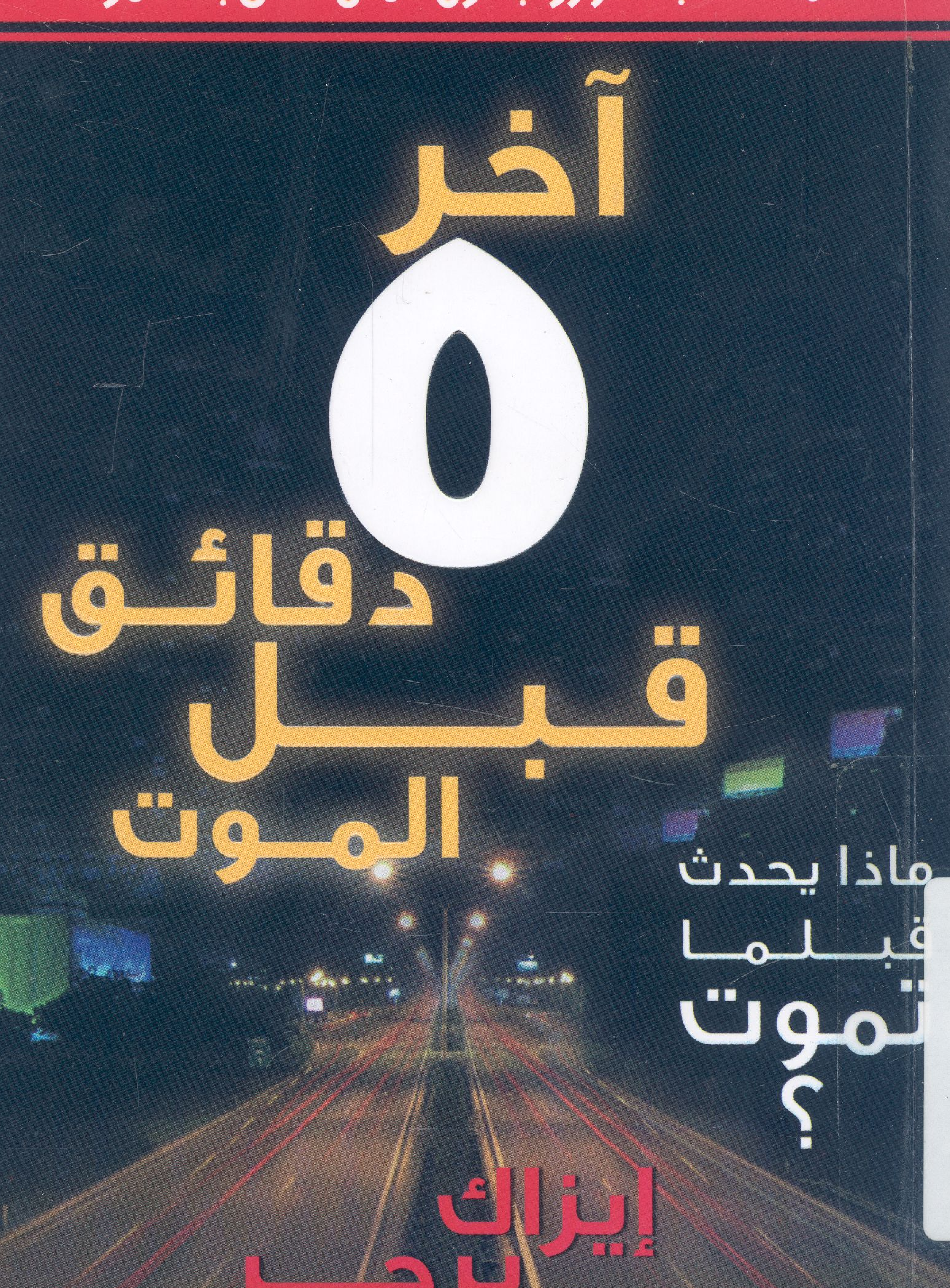
تكملة لكتاب أكثر رواجاً أول خمس دقائق بعد الموت

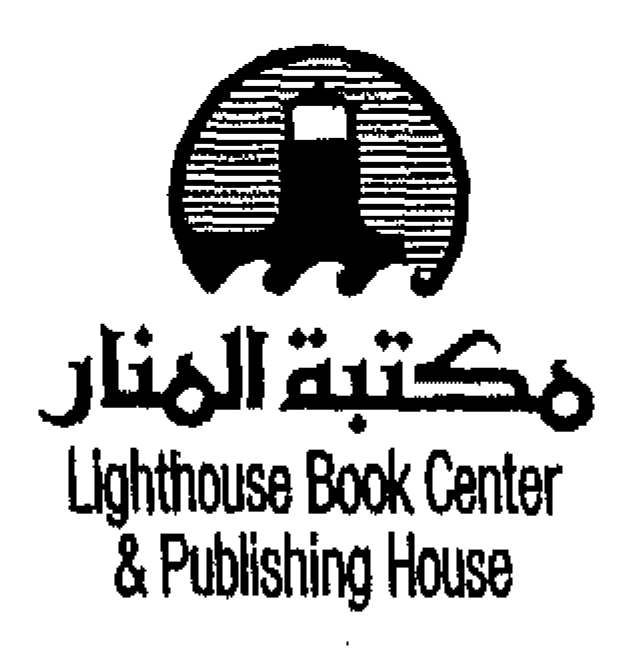


آخِر ٥ دقائق قبل الموت

ماذا يحدث قبلما تموت؟

تأليف

إيزاك برجر



آخر خمس دقائق قبل الموت

English Title: **The LAST 5 MINUTES BEFORE DEATH**

Auther: **ISAK BURGER** — تأليف: إيزاك برجر

ترجمة: مريم فؤاد

Published in Arabic:- — الناشر باللغة العربية:

Lighthouse Book Center — **مكتبة المنـــار**

17, Murad El-Sherei st., — ١٧ ش مراد الشريعي

Saint Fatima, Heliopolis, — سانت فاتيما ــ مصر الجديدة

Cairo, Egypt.

Tel: (02)26395030 — تليفون: ٢٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢)

Fax: (202)22403848 — فاكس: ٢٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢)

رقم الإيداع : ١٧١٩٠ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي : 1 - 000 - 471 - 977 - 978

www.lighthouseegypt.com

المحتويات

آخِر خمس دقائق ليسوع

لم يسبق في تاريخ البشرية أن وُجد يوم مثل هذا، أو آخِر خمس دقائق مثل هذه! فالثماني عشرة ساعة التي سبقتها كانت ألمًا صافيًا. كان على يسوع أن يحتمل الكثير من الكرب والمعاناة منذ قبض عليه في الليلة السابقة، بعد عبور وادي قدرون.. ضُرب وجُلد ووُضع على رأسه إكليل من شوك. وبعد هذا الألم المتواصل كان هناك الصليب الذي توجب عليه حمله حتى الجلجثة. ثم الصلب ذاته بكل ألمه.. الوحشية مجسدة. ناهيك عن الازدراء طوال الوقت، فيما انهال عليه الناس بالإهانات ساخرين منه. ظل معلقًا هناك منذ الساعة التاسعة صباح ذلك اليوم، عاريًا إذ كانوا قد أخذوا ثيابه. كان عطشانًا للغاية، وكان أبوه بعيدًا للغاية.

"إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟" (متى ٢٧: ٤٦).

وفي الساعة الثانية عشرة، في ضوء الظهر الساطع، حدث على غير توقع كسوف للشمس دام ثلاث ساعات. وكحمل التقدمة المذبوح على المذبح أمام الهيكل عن خطايا البشر، علم يسوع فورًا أن تقدمته قد قُبلت، ودُفع بالكامل الثمن عن خطايا كل البشر. جرت العدالة، إذ أخذ على نفسه

غضب الله ونقمته على خطايا البشرية: "قد أُكمل. يا أبتاه، بين يديك استودع روحي".

هذه كانت آخر خمس دقائق له. لعلها كانت أهم خمس دقائق في تاريخ البشرية بأكمله. خمس دقائق غيرت مجرى العالم. خمس دقائق تبرهن فيها أن تضحيته كانت كافية. خمس دقائق سُفك فيها دمه.. *كل* دمه، وأُخذت عنا *كل* خطايانا وتعدياتنا. خمس دقائق فُتحت فيها السماء لك ولي. وبسبب هذه الدقائق الخمس، هناك رجاء لك ولي حين نمضي إلى ظلال نهاية حياتنا.

سُجلت الكثير من الأمثلة لكلمات نطق بها أناس محتضرون (سنقتبس بعضها هنا) قالوا شيئًا مثل: "أندم على كوني ملحدًا" أو "إني آسف أني رفضتُ الله ولم أؤمن" أو "أتمنى لو لم أحيا حياة خاطئة دون أن أؤمن". لكن لم يقل أحد قط وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: "أندم لكوني مسيحيًا" أو "إني آسف لأني عشتُ حياتي للرب".

مقدمـة

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَـنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِـي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟"

(يوحنا ١١: ٢٥ و٢٦)

إن الموت هو الأمر الذي يؤثر على كل البشر. إلا أنه آخر شيء في جدول أعمال أي شخص على الأرض. حقًـا هناك أشخاص، خاصة أولئك الواقعين بين براثن الاكتئاب، متعبون يتمنون الموت بل ويسعون إليه. لكن ليـست هـذه القاعدة الأعم. فمعظمنا، حتى أولئك الـذين يؤمنـون حقًـا بالرب وبروعة السماء والحياة بعد المـوت، لا يمكننـا أن نقول بأمانة أننا على عجلة لنموت كي ما نتمكن من الذهاب للسماء.

إلا أنه من المثير أن المؤمنين الذين يبلغون نهاية حياتهم – ليسوا بالضرورة مسنين– أحيانًا مـا يختبـرون إحـساسًا بالإنجاز.. إحساسًا بإتمام الحياة. ولا تقلقهم فكرة المـوت أو ترعبهم، لكنها تمنحهم هدوءًا وسلامًا وطمأنينة. ليس لهـذا علاقة بالاكتئاب أو الإيمـان بالقـضاء والقـدر. عـادة لا

يتحدثون عن الأمر كثيرًا، إنما بعد وفاتهم يتذكر أحباؤهم كلمات أو مواقف معينة، فيدركون عندئذ أن هذا الشخص حظي بإعلان مسبق أن حياته على الأرض تقترب من نهايتها. ودائمًا ما يجلب هذا راحة عظيمة لأحبائهم.

قليلون لم يلمسهم الموت. لعلك بكيت في طفولتك لموت حيوانك الأليف، أو ربما توفت جدتك. أو كان الأمر أكثر إيلامًا إن كان المتوفي أبًا أو ابنًا أو أخًا أو أختًا. لعلك واجهت الموت بنفسك بشكل ما.

إن الموت يواجهنا يوميًا من خلال وسائل الإعلام الحديثة، إلى درجة جعلتنا متبلدين تجاهه. لكن هذا يحدث فقط إلى أن يقرع الموت بابك أو باب عائلتك أو أصدقائك.. حين يبدعون في قطع

كان من الرائع لو تيقنا أن "ملكة القلوب" الجميلة والمحبوبة دياناسبنسر أميرة ويلز، قد قدمت حياتها لملك الملوك. وحدها الأبدية ستكشف إن كانت قد فعلت هذا. لقد سُجلت للأبد كلماتها الأخيرة ليلة ٣١ أغسطس ١٩٩٧ على المقعد الخلفي للمرسيدس المحطمة: " آه يا إلهي. يا إلهي، ماذا حدث؟" لم يعلم أحد قبلها بخمس دقائق أن حياتها ستنتهي بهذه الطريقة.

الأشجار في جانبك من الغابة، فيلقي الموت بظلاله *عليك*.

لوقت طويل بحياتك لا تضعه في الحسبان، ولا تفكر فيه حقًا. وبعيدًا عن واقع أن الموت كثيرًا ما يأتي فجأة، فإنه عادةً ما ينقضي جزء كبير من حياة الفرد قبل أن تبدأ الإشارات المذكرة بالموت في الوقوع بصورة متكررة. فيموت المزيد من المعارف والمعاصرين، والأهل والأصدقاء. وتصبح علامات التقدم في السن أكثر وضوحًا بجسدك حتى إن كنت تحيا بصورة صحية وتواكب العصر.

دون أن تصير مؤمنًا بالقضاء والقدر أو يائسًا من الحياة، تبدأ تدرك أن كبر السن والموت يقتربان دون توانٍ. لا يمكنك أن تؤجل هذا الواقع أو تهرب منه.

لقد أثبت كتابي "أول خمس دقائق بعد الموت" بمبيعاته الضخمة أن الموت لا يزال يجذب انتباه الناس، وبصورة متزايدة. من المذهل عدد الشباب الذين أرسلوا لي بعد قراءة ذلك

توماس هوبيز، الفيلسوف الإنجليزي المعروف، قال عند نهاية حياته: " لو كان هذا العالم كله لي، لقدمته كله كي أحيا يومًا آخر. إني الآن مسافر في رحلتي الأخيرة. حان دوري كي أقفز القفزة الخفيفة نحو الظلمة".

الكتاب. كثيرون قرأوه بعد اختبار صدمة وألم موت صديق أو شخص حبيب.

مما جعلني أدرك أكثر من ذي قبل أنه لا شـــيء يتــرك المرء هشًا وضعيفًا مثل الموت. فالغنى والتعليم وقوة الشباب تنهار جبريًا أمام قسوة الموت. والأشخاص الماضون فـــي تهورهم إلى الجحيم دون التفكيـــر بـــالأمر، تجـــدهم فجـــأة يرجعون إلى صوابهم حين يدخلون ظلال الموت.

لماذا الكتابة عن آخر خمس دقائق قبل موتك ؟

بالطبع لا أريد أن أستغل ضعف أناس يمرون فـــي وادي ظل الموت، لكن من اللامبالاة وعدم تحمل المسئولية ألا أقدم رجاء وتعزية الإنجيل لهؤلاء الناس الهشين.

لقد أدركتُ هذا حين تحدث معي أحدهم عن كتـــاب "أول خمس دقائق بعد الموت"، وذَكَر آخِر خمـــس دقـــائق قبـــل الموت. إذا كانت أول خمس دقائق بعد الموت هامة للغايـــة، فهل الله غير عادل كي لا يحذرنا في الوقت المناسب –حتى لو كان قبل الموت بخمس دقائق وحسب؟

بعد أن قرأت عن هذا الموضوع وفكرتُ فيه مليًا، بدأت الكثير من الأفكار تخطر على بالـــي، وقررت أن أكتب هذا الكتاب عن آخر خمس دقائق قبل الموت.

قد يُطرح سؤال: لماذا خمس دقائق قبل الموت؟ لا شك أنه يمكن للمرء أن يقول أيضًا خمس ساعات أو خمسة أيام قبل الموت. لكن يظل الواقع أنه سيكون في حياة كل فرد على وجه الأرض لحظات أخيرة.. خمس دقائق أخيرة. لا يمكننا أن نجزم إن كنا سندرك هذا، كما لا يمكننا أن نجزم إن كنا سنمر بألم أو كرب.

الحق هو أن هناك خمس دقائق أخيرة، ثم الموت. ثم...؟ يمنحنا الكتاب المقدس لمحة عن آخر دقائق في حياة بعض الشخصيات الكتابية. من المثير أن نتذكر ونتخيل تلك اللحظات الأخيرة لفهم ما نقرأه في

قال أحدهم عن حق: "قليلة هي الأشياء التي تضاهي وضوح عبارات الاحتضار. فعلى فراش الموت ينطق حتى الكاذبون بالحقيقة. ونظرة على لحظات احتضار أحدهم قد تكشف أكثر مما تحمله كل الكلمات والأعمال بحياته. فحين يواجه المرء الموت، تسقط أقنعة الكثيرين ويقولون الحق.

كثيرون اعترفوا أنهم بنوا على رمال، وأنهم كرسوا طاقاتهم لوهم وتبعوا كذبة كبيرة". إن عبارات احتضار المؤمنين والملحدين قد تلمس البعض بصورة أعمق من المناقشات الكتابية واللاهوتية.

الكتاب المقدس، ونرى كيف ظهر البعض كأبطال فيما سقط البعض الآخر. حتى اليوم لا يزال الرب يحدثنا من خلال هذه الأمثلة. أؤمن أنك سوف تتأثر بعمق ببعض الحالات التي سنذكرها في الفصول التالية.

أصلي أن يستخدم الرب هذا الكتاب كي يصنع اختلافًا دائمًا في حياة ومستقبل أناس رائعين كثيرين.

الفصل الأول

أول خمس دقائق بعد الموت

"مَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ."

(لوقا ١٦: ٢٢ و٢٣)

إن رواج كتاب "أول خمس دقائق بعد الموت" مذهل على أقل تقدير. إلى جانب التعزية التي جلبها هذا الكتاب للكثيرين، كذلك استخدمه الرب ليقنع الكثيرين بضرورة التصالح معه. لهذا أنا شاكر بحق.

كنت في بداية خدمتي حين تغلغلت إلى داخلي كلمات خادم عند قبر مفتوح: "إن أهم اللحظات في حياة الفرد هي أول خمس دقائق بعد الموت". ففي هذه اللحظات يدرك كل إنسان عاش على الأرض أن ما آمن أو لم يؤمن به كان حقًا ويستحق ما بُذل لأجله أم لا.

في "أول خمس دقائق بعد الموت" حاولت إلقاء الضوء على القصة التي رواها يسوع عن الغني ولعازر، وكيف

وأين تُقضى الحياة بعد الموت. وكان محتوى الكتاب مبنيّـا على هذه القصة في (لوقا ١٩:١٦- ٣١) حيث يروي يسوع بنفسه هذه القصة، الوحيد الذي له السُلطان الأعلى للتحـدث عن هذا الموضوع.

في الجزء الأول من الكتاب هناك مناقشة المراحل الثلاث للوجود الإنساني: المرحلة الأرضية التي تبدأ بالحمل وتنتهي بالموت، والمرحلة المؤقتة التي تبدأ بموت الفـرد وتنتهـي بالمجيء الثاني ليسوع المسيح، والمرحلة الثالثة الأبدية التي تبدأ بالمجيء الثاني.

يركز باقي الكتاب على اللحظات الأولى مـن المرحلـة الثانية، أي الدقائق الأولى بعد موت الفرد. وتُعقد مقارنة في ضوء هذه المرحلة والقصة التي حكاها يسوع عـن الغنـي ولعازر، والتي يمنحنا يسوع من خلالها لمحة عما يحـدث مباشرة بعد موت الـشخص المخلَّـص والـشخص الغيـر مخلَّص.

أولاً نلقي نظرة على أول خمس دقائق بعد موت مـؤمن، ومثالنا لعازر. كانت حياته على الأرض حياة شـحاذ فقيـر مريض ومنبوذ، لكن الله عرف لعازر باسمه.. الاسم الـذي

يعني "الرب عوني". وعند موته، حملته الملائكة إلى موضع المجد حيث صار ضيف شرف في قصر أبيه السماوي.

خلال خمس دقائق بعد موته اتضح له أن مرضه وألمه وذله ومعاناته قد صاروا ماضيًا انتهى للأبد، وأن موته هو البوابة للحياة الحقيقية.

خلال خمس دقائق من موت كل مؤمن، سيدرك أن كل كلام ووعود الله حقيقية.

من المعزي أيضًا التفكير في لم شملنا مع أحبائنا ممن ماتوا قبلاً، بالإضافة إلى مقابلة الشخصيات الكتابية الشهيرة –ويسوع نفسه. وخاتمة هذا الجزء هي أن المؤمن لا يجتاز بوابة الموت وحيدًا، وأنه لن ينتظره وهم على الجانب الآخر.

يركز الجزء الثاني من الكتاب على أول خمس دقائق بعد موت شخص غير مؤمن، والتي يجسدها الغني في قصة يسوع.

لم يكن الغني ضالاً لأنه غني أو لأنه لم يعط المسكين. كان يهوديًا وابنًا للعهد حسب التقليد اليهودي بالعهد القديم، لكن حُكم عليه لأن الرب لم يعرفه بالاسم.. لم يتب بينما كان

على الأرض. وبمجرد ما أن مات وجد نفسه في نيران الهاوية.

خلال خمس دقائق أدرك أنه ليس بإمكانه أن يفعل المزيد لخلاصه، إذ فات الأوان.

خلال خمس دقائق بعد الموت سيعرف كل غير المؤمنين ومَنْ اختاروا أن يحيوا بدون الله أن الشيء الوحيد الذي ينتظرهم هو الدينونة الأبدية.

خمس دقائق في لهيب الهاوية سوف تحقق ما لم تتمكن الكنائس والوعاظ من عمله: غير المؤمنين وغير المبالين في الحياة سوف يؤمنون ويصلون.. لكن بعد فوات الأوان.

رأينا أيضًا في الجزأين الأولين من الكتاب ما يلي: هل التواصل من الجانب الآخر ممكن؟ ماذا يحدث للمنتحرين؟ ماذا يحدث للمرء في تلك اللحظات الحاسمة حين تفارق الروح الجسد؟ ماذا عن الملائكة، وملاك الموت؟

بعد هذا الملخص عن "أول خمس دقائق بعد الموت"، دعنا نلقي نظرة على آخرِ خمس دقائق قبل الموت للمؤمنين وغير المؤمنين.

الفصل الثاني

يقين مطلق

"مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟"

(متى ١٦: ٢٦)

أحيانًا ما تسمع الناس يتحدثون عن عدم يقين الموت. إلا أنه من الأصح التحدث عن "عدم يقين الحياة". إذ ليس هناك يقين أكثر من الموت. مهما حاولنا تجنب موضوع الموت، أو حجب الأمر عن أفكارنا، إلا أنه يظل واقعًا لا يمكن تجنبه أو الهروب منه. فالواقع البارد والثابت للحياة هو أن جميعنا سنموت.

ربما ينبغي عليَّ كمؤمن بالكتاب المقدس أن أضع في اعتباري الاحتمال الضئيل للغاية أنه من الممكن الهروب من الموت. ففي واقع الأمر يُخبرنا الكتاب المقدس أنه منذ وجود آدم وحواء لم يرى شخصان الموت: أخنوخ وإيليا. أعتقد أنك ستوافقني الرأي في أن الاحتمالات ليست مشجعة للغاية.. شخصان وحسب من بلايين الأشخاص الذين عاشوا على الأرض!

لا شك أن عليَّ كمؤمن أن أضع في حسباني المجيء الثاني للمسيح. لقد وعد أنه سيأتي ثانية ليأخذ أبناءه. إن عاجلاً أم آجلاً (غالبًا عاجلاً حسب علامات الأزمة التي نختبرها) سيأتي ثانيةً. وحسب بولس، فإن المؤمنين الأحياء عندئذ سوف يُخطفون ليلاقوا الرب ويكونوا معه إلى الأبد (١ تسالونيكي ٤: ١٧). على الرغم من أن هذا سيُنهي وجودهم الأرضي، إلا أنهم لن يموتوا. هذا الاحتمال قائم، ويمكن دومًا لأبناء الله أن يتمسكوا بهذا الرجاء. لكن يظل الواقع أن المؤمن سيكون مع الرب فورًا، سواء كان السبب هو موته أو المجيء الثاني للمسيح. هكذا يظل السؤال بشقيه قائم لك ولي: هل أنت مستعد للمجيء الثاني أو الموت؟

قال فيكتور هوجو في نهاية حياته: "إن الشتاء على رأسي، لكن الربيع الأبدي في قلبي. كلما اقتربتُ من النهاية، كلما سمعتُ بوضوح أكثر السيمفونيات الأبدية التي تدعوني".

مر حوالي عشرين قرنًا منذ مجيء يسوع الأول إلى هذا العالم. مات الجيل وراء الجيل، والشخص وراء الآخر.. بطرق مختلفة، وبأعمار مختلفة.. غير المؤمنين

والمؤمنون سواء، غير المبالي والتقي. في كتاب "أول خمس دقائق بعد الموت" حاولتُ تأمل قصة يسوع عن الغني ولعازر، وكيف وأين تُقضى الحياة بعد الموت. لكن قبل هذا دعنا نتأمل آخِر خمس دقائق قبل الموت.

الكلمات الأخيرة للرئيس الأمريكي ودرو ويلسون، الذي مات عام ١٩٢٤، كانت مختصرة وعذبة: "أنا مستعد".

بداية النهاية

تشارلز سبرجن، أحد أشهر الواعظين في القرن التاسع عشر، قال ذات مرة: "لحظة ما نبدأ نحيا، نبدأ نموت. الموت هو نهاية الاحتضار، وليس نهاية الحياة". قد يبدو هذا كئيبًا بالنسبة لك، لكننا بالفعل نبدأ مسيرة جنائزية لحظة الحمل بنا. قد تكون هذه المسيرة قصيرة للبعض.. فلا يصمدون حتى الميلاد. هؤلاء لا يحظون بامتياز رؤية السماء الزرقاء وأوراق الشجر الخضراء. عشرات الألوف يموتون بصورة شرعية في جنوب أفريقيا وحدها.. بواسطة الإجهاض.

مهما كان عمرك أو مدى لياقتك أو صحتك، حتى إن كنت تحلم بأروع الأشياء وينتظرك مستقبل باهر.. يظل أمامك تلك اللحظات الخمس الأخيرة، وبعدها الموت. يمكننا

أن نحاول إعاقة هذه المسيرة الجنائزية وتأجيل الموت، لكن لابد وحتمًا أن يبلغ الموكب وجهته.

حين تكون صغير السن لا يحلو لك أن تفكر في الأمر. لكن يأتي الوقت حين يذكرك التغيير الجسدي تلو الآخر بأنك تتقدم في العمر. يتحول شعرك إلى اللون الرمادي، وتصير التجاعيد أكثر وضوحًا حتى تبدو بعضها كالأخاديد. وتدرك أنه لا يمكنك عمل ما اعتدت عمله من قبل. تؤذي نفسك وتمرض بصورة أسهل، وتتعافي بصورة أصعب. تضعف قوتك، وتقصر خطواتك، ولا تغادر السرير أو تنهض من مقعد برشاقة، بل تتحرك بصورة أبطأ. تشعر بآلام لا يمكنك تفسيرها، ضغط دمك ليس كما اعتاد أن يكون، وهناك جلد مرتخي عند حنجرتك لم يعتد أن يكون هناك.

قد يمزح أحدهم من الأمر ويبتسم، لكنها كلها علامات تخبرنا: أن الطريق أمامنا صار أقصر، وأن عملية التقدم في العمر التي لا يمكن عكسها مستمرة بثبات.

نجد في ترجمة الرسالة "The Message"، التي هي ترجمة معاصرة للكتاب المقدس، ترجمة أكثر وضوحًا للآيات المعروفة في سفر الجامعة ١٢: ١- ٨:

مع الشيخوخة لا يعد جسدك يخدمك جيدًا.
ترتخي العضلات، تضعف قبضتك، وتتصلب المفاصل.
تغمر الظلال العالم.
لا يمكنك الذهاب والإياب كما تريد.
يخبو الغناء من البيت.
ويوقظك صوت العصفور.
تصير النزهات بالجبال من الماضي.
حتى التمشي في الطريق له أهواله.
يتحول شعرك إلى الأبيض كزهرة التفاح،
مزينًا جسدًا هشًا واهنًا نحيلاً.
نعم، أنت في طريقك إلى الراحة الأبدية،
فيما يرتب أصدقاؤك لجنازتك.
الحياة، فاتنة ما دامت، سرعان ما تنتهي.
الحياة كما نعرفها، غالية وجميلة، تنتهي.

أتجد هذا محزنًا، مأساويًا، كئيبًا؟ للأسف هذا حقيقي. المأساة الأعظم هي أن كثيرين لا يبلغون هذه المرحلة. فدائمًا ما كان هناك وفيات الأطفال والشباب. حقًا قلت معدلات وفيات الأطفال في الدول المتقدمة بالعقود الأخيرة مع تقدم الطب، لكن للأسف فإن وفيات الشباب –خاصة في

جنوب أفريقيا – قد تزايدت بصورة ملحوظة في السنوات الأخيرة. الكثير من الشباب يموتون على الطرق، بسبب جرائم عنيفة، أو نتيجة لإدمان المخدرات. أذكر أن والدًا مفجوعًا كنتُ قد دفنتُ ابنته مؤخرًا قال لي: "لا ينبغي للآباء والأمهات أن يقفوا عند قبور أبنائهم!" لكن للأسف هذا يحدث بتكرر يوجع القلب. فالموت لا يحترم الأجساد الفتية، بهجة الحياة المتدفقة في عروقك، المستقبل الواعد الذي ينتظرك. حقًا، إن الموت ليس له حد في السن!

الفصل الثالث

ضحايا

"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ."
(متى ٥: ٢١)

للأسف يموت الكثير من الأشخاص على أيدي أشخاص آخرين. لا شك أن آخِر خمس دقائق لهم تكون مفزعة.

جريمة القتل الأولى

كان هابيل هو أول شخص في التاريخ يقضي آخِر خمس دقائق في حياته على يد قاتل.

"وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ" (تكوين ٤: ٨).

لا يخبرنا الكتاب المقدس عن دفاعه عن نفسه أو فزعه أو ألمه، بل يخبرنا وحسب أنه...

"بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لله ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ (بالإيمان) شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ" (عبرانيين ١١: ٤).

منذ ذلك الحين كم من الملايين مـن الرجـال والنـساء والأطفال قضوا آخِر خمس دقائق لهم علـى الأرض فـي خوف وألم لا يوصفان على أيدي قتلة أشـرار متوحـشين؟ تحضرني تعبيرات الرعب على وجوه بعض ضحايا هتلر، والتي سجلتها بعض الصور والأفلام.

منذ قتل هابيل وهناك دومًا مَنْ تنتهي آخر خمس دقائق له على يد قاتل قاسٍ. وكل يوم في بلدنا الجميل، جنوب أفريقيا، لا مهرب من خمس دقائق أخيرة عنيفة لعـدد ضـخم مـن الناس (أكثر من خمسين يوميًا)، بيض وسود. والكثير مـن جرائم القتل هذه تُرتكب بقسوة ووحشية تفوقان العقل.

معظمنا يعرف شخصًا لقي هذا المصير. والواقع القاسي لعالمنا المعطوب يخبرنا أن المؤمنين لا يُستثنون بالضرورة من هذه الدقائق الخمس المحزنة. لكني أتمنى ألا يضطر أحد يقرأ هذا الكتاب أن يواجه آخِر خمـس دقـائق لـه بهـذه الطريقة.

إلا أن السؤال الأهم ليس إن كنت سأموت قتيلاً في آخِر خمس دقائق لي أم سأموت بأسباب طبيعية، لكن أين سأكون بعد خمس دقائق من توقف قلبي.

يسوع نفسه قال: "**وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ**" **(متى ١٠: ٢٨).**

إن أقسى قاتل هو إبليس نفسه. لقد قال يسوع عنه:

"**اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ**" **(يوحنا ١٠:١٠).**

فهو لا يستنزف دماء الأجساد وحسب، ولكن نفوس الناس وعلاقاتهم أيضًا.

قد تتبع آخر خمس دقائق لبعضنا –مؤمنين وغير مؤمنين سواء– هذا النمط. لكن في حالة المؤمنين يكون هذا آخر آلامهم، آخِر فزعهم وخوفهم، آخِر دموعهم. فبعد ذلك النَفَس الأخير، حين تخلو العيون من التعبير وتحدق في لا شيء، سيكونون مع الرب إلى الأبد في سلام وطمأنينة بيته الأبدي.

ضحايا الطوفان

ليس من الصعب تخيل هذه الصورة في الذهن. فبعد سنوات من الاستهزاء، لكن مع عمل دؤوب طوال الوقت، أنهى نوح أخيرًا الفلك. هذا الرجل الذي دُعي "كَارِزًا لِلْبِرِّ" (٢ بطرس ٢: ٥) ظل يحذر الناس لسنوات، لكن دون

جدوى، فلم يدخل معه الفلك سوى أفـراد عائلتـه الـسبعة وحسب. ثم أغلق الله الباب عليه (تكوين ٧: ١٦).

انفتحت السماوات وبدأ المطر فـي الهطـول. واسـتمر منسوب الماء في الارتفاع، فذعر الناس وانتقلوا إلى أراضٍ أكثر ارتفاعًا. نفـس الأشـخاص الذين سخروا من نوح ووصـايا الله وتحذيراته غيـر المنطقيـة، بدءوا يصرخون ويتـضرعون.. لكن بعد فوات الأوان. إذ أضاعوا فرصتهم في الحياة.

غرقوا الواحد تلو الآخر. لـم تمتلئ آخرِ خمـس دقـائق لهـم برعب الموت غرقًـا وحـسب، لكنهم أيـضًا علمـوا: "لقـد تـم تحذيرنا، ونحن لـم نـستفد مـن الفرص الممنوحـة لنـا". مـن الرهيب ألا تجـد سـوى نفـسك لتلومها، فلوم الذات يجلب حزنًـا

كـان لينين وسـتالين مـن مؤسـسي وقائـدي الـشيوعية الإلحادية. وكان موت كليهما كابوسًا. مات لينين بعد يـوم يأس روحي. ظل طوال الليل يتوسل بحـرارة طالبًـا مغفـرة خطايـاه. وحـدها الأبديـة ستخبرنا إن كان هناك مغفرة له أم أنه قد تأخر كثيرًا. أما سـتالين فكـان مـسئولاً عـن أعظـم إبـادة جماعيـة في التاريخ. إذ قام هـو وجيوشـه بإبادة ٨٠ مليون علـى الأقـل من الروس وساكني أوكرانيا، ومعظمهم مسيحيين.

شديدًا.. خاصة إن كان الأمر يتعلق بالحياة الأبدية.

لا شك أن آخِر خمس دقائق لهؤلاء الناس كانت مروعة.. والأسوأ أنه كان من الممكن تجنبها!

كثيرون من الأحياء الآن قد يواجهون موقفًا مشابهًا. مع ماذا ستصارع في آخر خمس دقائق في حياتك؟ هل سيكون غرقًا حرفيًا؟ أم دخان خانق ولهيب حطام سيارة؟ هل سيكون الألم الشديد لذبحة صدرية أو جلطة فاجأتك على غير توقع؟

السؤال الملتهب هو: هل سيكون هناك وقت "لإصلاح" الأمور؟ كان أوان الإصلاح قد فات بالنسبة للناس في زمن نوح. لم تناسبهم السنوات التي حاول الله إنقاذهم فيها. فرُفع حبل النجاة،

ولأسباب فاسدة لم تقم وسائل الإعلام بتغطية هذا كما فعلت مع محرقة الهولوكوست التي أمر بها هتلر لإبادة اليهود. من الواضح أن موت ستالين في مارس ١٩٥٣ كان مشهدًا مأساويًا. لم يتم الإرسال في طلب ابنته، سويتلانا أليلوجوا، في وقت مناسب، فلم تتمكن من التواجد معه في كينزو أثناء صراعه مع الموت. قالت بعدها: "أبي مات ميتة فظيعة وصعبة. الله يمنح الأبرار موتًا سهلاً".

وأُغلق باب الرحمة. وصاروا يستغيثون ويـصرخون دون جدوى.

هل سيكون بإمكانك التفكير، ناهيك عن الصلاة، حين يغلبك خوف الموت، حين يجعلك ألم صدرك تصارع من أجل النفَس، حين يُشل جزء من وجهك، حين ينفجر شريان بمخك وتدخل غيبوبة؟

أصلي أن تختار دخول فُلك نعمة الله، بينما باب النعمة لا يزال مفتوحًا. لا يزال هناك فُلك خلاص، والباب لا يـزال مفتوحًا.. يسوع المسيح!

قتل الأطفال في مصر

على مر القرون، صار شعب الله المختار أمة "مـستعبدة" في مصر. وشعر فرعون بالقلق من معدل تكاثرهم وزيـادة عددهم، وكان حله هو طريقة متطرفة وقاسية لمنع الحمل.. قتل كل الأولاد. ففي النهاية كان من الخطر أن يزيد عـدد العبيد عن عدد حكامهم.

لا شك أننا سنجمع أنه ملك قاس. فكر في آخِـر خمـس دقائق قبل موت آلاف الأطفال والرضع.. انتـزاعهم مـن أحضان والديهم، الفزع والهـستريا والـدموع. ثـم طعـن الخناجر، وفصل الرأس عن الأعناق الرفيعة الرقيقة. تُـرى

كيف يمكن صياغة رعب وألـم مئـات بـل آلاف الأولاد الصغار في كلمات؟

بعد سنوات، في بيت لحم يهوذا، دخل الجنود البلدة دون سابق إنذار. كان الملك هيرودس القاسي والشاعر بالتهديد قد أصدر لهم أوامر صريحة بقتـل كـل الأولاد تحـت سـن العامين! إذ أزعجته كلمات مجوس الشرق: وُلد طفـل فـي بيت لحم، وسيكون ملكًا! كان يومًا مليئًا بالغبـار والـدموع والدم، فيما وقف الآباء والأمهات متـألمين وذاهلـين وهـم ممسكون بأجساد أولادهم الدامية.

والآن بعد مرور ألفي عام، لا يزال ما حدث في مـصر وإسرائيل يحدث حتى اليوم، مع وجود بعض الاختلافـات. فالآن يُقتل من الأطفال أكثر جدًا مما قُتل من قبـل. كـذلك صارت الوسائل لهذا أكثر قسوة وتعقيدًا. لا يمكـن لأحـد سماع الصرخات فيما يُحقن السائل المحيط بالجنين بمحلول ملحي، أو تُغرس إبرة حياكة في الجسد الصغير الهش فـي إجهاض يتم في شارع خلفي. كذلك لن ترى عين بالخـارج الوحشية والتعذيب فيما تُستخدم ملاقط خاصة لتمزيق الجسد الضئيل إربًا لإخراجه من قناة الولادة.

نحن ندعوه إجهاضًا. وهناك المجردون من الأخلاق ممَنْ يدعونه إزالة نسيج غير مرغوب فيه، هؤلاء هم المؤيــدون لحق المرأة في الاختيار والذين يدَّعون أن من حق المرأة أن تقرر ما تشاء بشأن جسدها. لكن يتم تجاهل الحقيقة، فعلــى الرغم من أن هذا الكيان الجديد موجود في الأم منذ لحظــة الحمل، إلا أنه ليس جزءًا من جــسدها.. وهــذا الإنــسان الصغير له من البداية حياة منفصلة ومميزة، باعتباره خليقة جديدة متميزة.. خليقة الله.

نحن هنا لا نتحدث عــن إزالــة ورم غيــر طبيعــي أو سرطاني. بل هذا إنسان غير مولود.. صورة متميــزة مــن الله. لا شك أن هذا الجنين يشعر بالألم، فــصور الــسونار تثبت هذا. لكن البشر لا يرونه، لا يشعرون به أو يسمعونه. الحكومات والمؤسسات المهووسة بحقوق الإنسان لا تعترف بهذا. ونفس الأشخاص الذين يثورون ويهاجمون الحكومات بسبب موت صغار عجول البحر، ليس لهم صــوت حــين يخص الأمر حاملي صورة الله. هكذا يُقتل أكثر مَنْ لا حول لهم في المجتمع بواسطة جيل فاسد وتشريع شرير.

لا يمكنني تخيل ألا تكون هذه الجريمة الأفظع في التاريخ في القائمة يوم دينونة الله. في جنوب أفريقيا وحدها يبلغ عدد

الأطفال المقتولين بصورة شرعية حوالي ٥٥ ألف سـنويًا، وملايين بالعالم كله. يقول إشعياء ٢٦: ٢١

"لأَنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ لِيُعَاقِبَ إِثْمَ سُكَّانِ الأَرْضِ فِيهِمْ، فَتَكْشِفُ الأَرْضُ دِمَاءَهَا وَلاَ تُغَطِّـي قَتْلاَهَا فِي مَا بَعْدُ".

كل نقطة دم من كل طفل برئ، وكل جنين تم إجهاضـه سوف يصرخ في ذلك اليوم طالبًا القـصاص مـن الخـالق ومانح الحياة.

لا يوجد هنا مَنْ يشهد لصالحهم عن آخِر خمس دقـائق قبل موتهم.. لكن هناك رب في السماء!

الفصل الرابع

متأخر للغاية

"تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ."

(متى ٤: ١٧)

سوف نلقي نظرة في هذا الفصل على آخِر خمس دقائق في حياة بعض الشخصيات الكتابية ممَن رفضوا سيادة الله، ولهم الآن تُقرع الأجراس...

رجل جبار ينتحر

شاول كان الملك الأول لإسرائيل، وكان معروفًا وحسن المظهر. لكن في مرحلة ما لم يعط أهمية لوصايا محددة أعطاه الله إياها. وفي النهاية حل به روح شرير، لأن الرب فارقه.

في أحد الأيام كان الفلسطينيون يستعدون لمحاربة إسرائيل مجددًا، فحاول شاول أن يجد الرب مرة أخرى، لكن دون جدوى. لم يكن هناك حلم، ولا كلمة نبوية لأجله. صمتت السماء، وليس هناك ما هو أسوأ من صمت السماء.

عندئذ خالف الله والقانون الذي وضعه بنفسه، وذهب ليلاً ليستشير عرافة عين دور (١ صموئيل ٢٨: ٧ و٨). فأُعلن أخيرًا حكم الله عليه (ع ١٨ و١٩).

وفي اليوم التالي كانت للعدو اليد العليا على جبل جلبوع، ورأى شاول أن الهزيمة محتومة، فأخذ سيفه وسقط عليه. ثم وجد الفلسطينيون جسده في اليوم التالي. فقطعوا رأسه وأرسلوه "غنيمة" عبر البلاد، وسمروا جسده على سور بيت شان.

ها هو أعظم رجل في إسرائيل، الملك الذي انتحر في يأسه! تُرى كيف كانت آخِر خمس دقائق في حياته؟ ما المشاعر التي انتابت مَنْ كان قبلاً ملك إسرائيل القوي المعتز؟ هل شعر بالخوف وقلة الحيلة وبأنه متروك؟ يا لها من ميتة فظيعة! سيطر عليه الذعر. لم يعد أي شيء يبدو منطقيًا، ولا شيء يستحق.

الفيلسوف المعروف فريدريك نيتشه كان من أشهر الملحدين في عصره. وهو الرجل الذي خرج بالمقولة الشائنة: "الله مات"، ونشرها في صفحة الوفيات بأحد الجرائد. كذلك كتب هذه العبارة على جدار في النمسا: "الله مات ـ نيتشه".

حسب الكتاب المقدس فليس لدينا شك حول أول خمس دقائق له بعد الموت. كان مذنبًا بما يشبه الخطية التي لا تُغفر والتي يتحدث عنها الكتاب. وكان الله قد رفضه، وأعلن حكم الله عليه قبل موته (١ صموئيل ٢٨: ١٩). لعله فتح عينيه في مكان الأموات.. هناك حيث سيذهب أيضًا الغني في (لوقا ١٦: ١٩).

ماذا قد يسوء في حياة الشخص حتى ييأس لهذه الدرجة ويفعل أمرًا لا يمكن عكسه؟ لعل لديك جزء من إجابة هذا السؤال. لعلك تدرك الأفكار التي تجول بفكر مثل هذا الشخص، لأنك مثل شاول ترنحت على "منحدرات جبل جلبوع".

هذا مات مجنونًا. وصف أحدهم الأمر قائلاً: مات نيتشه في ظلام روحي، وهو يهذي كمجنون. بعد موته بفترة قصيرة كتب أحدهم تحت عبارة "الله مات - نيتشه"، التي كتبها على الجدار في النمسا، الكلمات التالية: "نيتشه مات - الله".

عملاق يسقط

لعل قصة جليات العملاق وداود الصغير من أشهر قصص الكتاب المقدس. إلا أن هناك بعض الجوانب حول موت جليات علينا أن نذكرها هنا.

تجري أحداث القصة في وادي البطم، حيث وقف جيش الفلسطينيين على جبل وجيش الإسرائيليين على جبل مقابل والوادي بينهما.

سُلطت الأضواء لمدة أربعين يومًا على جليات العملاق الذي يبلغ طوله ثلاثة أمتار.

كان من الوارد في هذه الحروب القديمة أن يقوم مقاتل بارع بتحدي العدو في معركة رجل لرجل. ارتدى العملاق درعه البرونزي الذي يزن ٥٧ كيلو جرام، وحمل رمحه الذي يزن سنه سبعة كيلوجرامات. وراح يعيِّر ويحطم معنويات الجيش الإسرائيلي بأكمله، ومن ضمنهم شاول الملك. إذ أرعبهم حجمه وافتخاره، فخافوا منه.

ثم جاء داود الغض بلا خبرة حربية تجعله يدرك أنه يجب حقًا أن يخاف. كل ما كان يملكه هو إيمان كالأطفال في إله إسرائيل، ليس فقط بسبب تنشئته التقية، لكن أيضًا

بسبب بعض "المعارك" التي ربحها قبلاً ضد حيوانات مفترسة أرادت مهاجمة قطيع أبيه.

لا تحتاج المواجهة ذاتها لوصف مفصل. لكن جدير بالذكر أن هناك بُعدًا روحيًا بالأمر. ففي افتخار جليات قال أمور فسرها داود بأن هذا الجبار لا يتحدى إسرائيل وحسب، لكن وإله إسرائيل كذلك.

"... **أَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ**" (**١ صموئيل ١٧: ٤٥**).

قبل هذا لعن جليات داود بآلهته الوثنية (ع ٤٣).

تخيل الصبي وفي يده المقلاع، والحجر الذي يجد طريقه إلى البقعة الوحيدة الغير محمية في درع جليات، فيغوص في جبهته جاعلاً إياه يسقط على وجهه أرضًا. ثم يجري داود مقتربًا منه قبل أن يفيق مما هو في الأغلب فقدان وعي، ويقطع رأس جليات بسيفه. فيتحول الفلسطينيون ويجرون.

مَنْ كان ليتخيل هذا قبل خمس دقائق من وفاته؟ أيمكن لحجر من مقلاع صبي غض أن يُسقط رجلاً قويًا، محاربًا مخضرمًا، عملاقًا جبارًا؟ هل من الممكن قتل رجل قوي كهذا بهذه السهولة؟

رصاصة واحدة من بندقية قناص تسببت في الموت الفوري لأحد أكثر الرجال نفوذًا في العالم، جون إف كينيدي. مَنْ كان يظن قبلها بيوم أن مارلين مونرو، إحدى أكثر النساء فتنة في أمريكا، سوف تموت من جرعة زائدة من الحبوب؟ أو أن ملك الروك، إلفيس بريسلي، سوف يخسر معركته أمام المخدرات في مطلع حياته ، ويأتي اليوم الذي لا يغادر فيه حمامه حيًا؟

لا العضلات البارزة أو القوانين المحكمة أو الجسد الفتي سوف يحميك من رصاصة من مسدس مسروق يطلقها مجرم قاسٍ عن قرب.

كثيرون لا يكونون مرضى قبل موتهم بخمس دقائق. كثيرون لم يفكروا حتى بالموت قبل أن تكف قلوبهم عن الخفقان وتنهار رئاتهم.

لا جليات، ولا حامل ترسه، ولا الفلسطينيون، ولا حتى الإسرائيليين كان بإمكانهم توقع مجرى الأحداث قبل موته بخمس دقائق. في لحظة كان بطل الجيش الفلسطيني، في

ياروزلافسكي كان رئيس حركة اللحدين العالمية. كانت كلماته الأخيرة هي: "أرجوكم احرقوا كل كتبي. ها هو القدوس! لقد ظل طويلاً في انتظاري. إنه هنا".

قمة مستقبله الوظيفي، ومثالاً مخوفًا للقوة الحربية، متنعمًا في مجد حياته.. ثم خلال ثانية، انتهى كل شيء. ولم يعد واقفًا أمام داود إسرائيل، بل أمام إله إسرائيل الذي تحداه منذ دقائق.

أفزع حين أسمع وأقرأ عن أشخاص، عادة علماء ومغنين وكتَّاب، ممَنْ ينكرون وجود الله على أساس معرفتهم المفترضة ورؤى علمية أكثر حداثة.

لا سبيل هناك أن أرغب في أن أكون مكان شخص كهذا حين تحين آخر خمس دقائق قبل موته.. ولا في أول خمس دقائق بعد موته. هناك قصص لا حصر لها عن كثيرين من أمثال جليات ممَنْ أنكروا حديثًا وجود إله السماء والأرض، لم يعطوا له اعتبارًا وتحدوه، لكن اختلفت نغمتهم كثيرًا في لحظات احتضارهم. ستجد في صفحات هذا الكتاب قصص بعض هؤلاء الأشخاص في "وادي البطم".

ابن ملك يموت بمذلة

لابد أن حياة -وموت- أبشالوم، الابن الثالث لداود الملك، هي من أكثر قصص الكتاب المقدس مأساوية. إن قصة حياته، وبالأخص موته، معروفة بين الكثيرين. وآخِر خمس

دقائق قبل موته موصوفة بالتفصيل في (٢ صـــموئيل ١٨: ١٤ و١٥). دعنا نلقي نظرة سريعة على حياته المأساوية.

كانت أم أبشالوم، إحدى زوجات داود العديـــدات، هـــي الأميرة الوثنية معكـــة (٢ صـــموئيل ٣: ٣). وقيـــل عـــن أبشالوم:

"وَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ جَمِيلٌ وَمَمْـــدُوحٌ جِدًّا كَأَبْشَالُومَ، مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ حَتَّى هَامَتِـــهِ لَـــمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ" (٢ صموئيل ١٤: ٢٥).

عادة ما يعكس اسم الفرد في الكتاب المقـــدس بطريقـــة نبوية شيئًا ما عن حياة هذا الشخص. أبشالوم يعنـــي "أبـــي السلام"، لكن من الواضح أنه اختبر القليل من الـــسلام فـــي حياته.. بل حدث النقيض تمامًا.

كانت أخته هي ثامار الجذابة التي اغتصبها أخوها غيـــر الشقيق، أمنون الذي هو الابن البكر لداود (٢ صموئيل ١٣: ١١- ١٦).

المأساة والسخرية المريرة هي أن معظم حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال تحدث على أيدي أشخاص يعرفـــونهم ويثقون بهم وينبغي أن يشعروا بالأمان معهم.. أشخاص من دائرة عائلتهم أو أصدقائهم.

القطيعة بين داود وأبشالوم

على الرغم من أن داود سمع بالأمر الفظيع الذي فعله أمنون بكره، إلا أنه لم يتخذ أية خطوات تأديبية تجاهه. لعل هذا يرجع إلى كون داود قد أخزى نفسه مؤخرًا مع بثشبع زوجة أوريا الحثي.

حين ينظر المرء إلى موت أمنون وأبشالوم، يلاحظ أن جذوره ترجع إلى الانحدار الأخلاقي لداود. فإلى جانب أنه غرس بنفسه بذور الفجور والاستهتار في عائلته، كذلك حلت كارثته الأخلاقية بسلبه سلطانه الأبوي والروحي. وبسبب المثال الذي وضعه لأبنائه، لم يُؤخذ على محمل الجد فيما يتعلق بالتأديب والقيم الأخلاقية والتحكم. كان الانحدار الروحي هائلاً للغاية، حتى أن داود لم يملك قاعدة أخلاقية عالية ليقف عليها.

كم من الأهالي اليوم، خاصة الآباء، يجدون أن كلماتهم ليس لها سلطان كذلك، إذ يقلل من شأنها افتقارهم للقيم الشخصية وطرقهم في الحياة. لا يمكنني أن أحذر أبنائي من أشياء معينة إذا كنتُ مذنبًا بارتكاب هذه الأشياء عينها. فالمثال الذي أضعه له وزن أكبر من كلماتي.

دخل داود أكثر فترات حياته حزنًا. حقًا منحه الله المغفرة عن خطاياه الفظيعة، لكن الحصاد الحتمي الذي انتظره كان مؤلمًا بحق.

لمدة عامين ظـل أبشالوم يرعى ضيقه وتعطشه للانتقام، حتى سنحت له الفرصة المناسبة لقتـل أمنـون. وتحققـت كلمات ناثان النبي لداود:

"وَالآنَ لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَـدِ، لأَنَّـكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَـكَ امْرَأَةً" (٢ صموئيل ١٢: ١٠).

وهرب أبشالوم إلى جده، ملك جشور، شرق بحر الجليل. ومرة أخرى لم يفعل، أو لم يتمكن داود من عمل شيء حيال الأمر. لم يكن هناك اتصال بين أبشالوم وأبيه لمـدة ثـلاث سنين، فافتقده داود كما ندب موت أمنون (٢ صموئيل ١٣: ٣٧ و٣٨).

وأخيرًا رتب يوآب، رئيس جيش داود، أن تقـوم امـرأة حكيمة من تقوع بإقناع داود بالسماح لأبشالوم بالعودة إلـى أورشليم. لكن لمدة عامين لم يسمح داود لابنه أن يراه. ثـم أقنع أبشالوم يوآب بالتوسط بينهما، وأخيـرًا تـصالح داود

وأبشالوم (٢ صموئيل ١٤: ٣٣). هكذا كانت هناك قطيعة كاملة بين داود وابنه لمدة خمسة أعوام.

خطط أبشالوم

خلال الأربعة أعوام التالية حدث أمر ينذر بالشر تحت أنف داود، لكن دون أن يلاحظ شيئًا. كان أبشالوم يدبر خطة ماكرة للتمرد على والده. إلا أنه من الصعب فهم السبب. فحتى إن كان من الخطأ أن يقتل أخيه أمنون، إلا أن بوسع المرء التعاطف معه بعد الطريقة المشينة التي لا تغتفر التي عامل بها أمنون ثامار. لكن ماذا حدث حتى يدبر أبشالوم انقلابًا ضد أبيه؟ هل كان هذا بسبب العلاقة السيئة بينهما في الأعوام السابقة؟ هل تلوث قلبه ببذرة التمرد هذه في تلك السنوات؟ أم كان لديه دومًا الميل نحو الذاتية والكبرياء في قلبه؟ هل عملت كل الأشياء معًا حتى تجري الدينونة التي جلبها داود على نفسه؟

تذكر كلمات ناثان:

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ" (٢ صموئيل ١٢: ١١).

نجد تفاصيل الانقلاب المخادع الذي خطط له أبشالوم في (٢ صموئيل ١٥- ١٧). أما داود، الذي ظل ملكًا على

إسرائيل لما يقرب من ٣٢ عامًا، فاضطر إلى مغادرة أورشليم هربًا من ابنه.

وبكى داود طول الطريق فيما عبر مع اثنين من أتباعه المخلصين وادي قدرون (الذي سُمي جثيماني في زمن المسيح)، وصعد جبل الزيتون (٢ صموئيل ١٥: ٣٠). وبعد ألف عام بالتحديد مشى يسوع نفس الطريق إلى أورشليم وهو يبكي أيضًا. كان يبكي على مدينة لم ترغب في السلام الذي عرضه عليهم (لوقا ١٩: ٤١ و٤٢).

مع خروج داود من أورشليم، تطرف أبشالوم في عمل أمور سخيفة. كان داود قد ترك عشر نساء من سراريه لحماية القصر. فعمل أبشالوم بمشورة أخيتوفل، أحد مشيري داود السابقين، ونصب خيمة على سطح القصر ليراها الجميع ودخل على سراري أبيه. كان ناثان النبي قد تنبأ بحدوث هذا (٢ صموئيل ١٢: ١١).

وبعد عدة أيام جرت معركة في غابة أفرايم شرق الأردن. حين غادر رؤساء جيش داود الثلاثة للحرب، سمع كل الشعب داود يوصيهم:

"تَرَفَّقُوا لِي بِالْفَتَى أَبْشَالُومَ" (٢ صموئيل ١٨: ٥).

موت أبشالوم

هناك وسط كثافة الغابة بدأت الأمور تسوء لأبشالوم ورجاله:

"وَصَادَفَ أَبْشَالُومُ عَبِيدَ دَاوُدَ، وَكَانَ أَبْشَالُومُ رَاكِبًا عَلَى بَغْل، فَدَخَلَ الْبَغْلُ تَحْتَ أَغْصَانِ الْبُطْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُلْتَفَّةِ، فَتَعَلَّقَ رَأْسُهُ بِالْبُطْمَةِ وَعُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالْبَغْلُ الَّذِي تَحْتَهُ مَرَّ. فَرَآهُ رَجُلٌ وَأَخْبَرَ يُوآبَ وَقَالَ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَبْشَالُومَ مُعَلَّقًا بِالْبُطْمَةِ" (٢ صموئيل ١٨: ٩ و١٠).

جاءت آخر خمس دقائق لأبشالوم على الأرض. أكثر الرجال وسامة في إسرائيل، بلا عيب من هامة رأسه إلى أخمص قدميه، لكن بشخصية شوهها الانتقام والشهوة والتمرد والطموح.. هذا صار معلقًا في الهواء، لا حول له ولا قوة. قبلها بيوم، بل قبلها بعدة ساعات كان يتعظم بمجد باطل. والآن تنتظره ميتة قاسية مشينة.

"فَأَخَذَ (يوآب) ثَلاَثَةَ سِهَامٍ بِيَدِهِ وَنَشَّبَهَا فِي قَلْبِ أَبْشَالُومَ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ فِي قَلْبِ الْبُطْمَةِ. وَأَحَاطَ بِهَا عَشَرَةُ غِلْمَانٍ حَامِلُو سِلاَحِ يُوآبَ، وَضَرَبُوا أَبْشَالُومَ وَأَمَاتُوهُ. وَأَخَذُوا أَبْشَالُومَ وَطَرَحُوهُ فِي الْوَعْرِ فِي

الْجُبِّ الْعَظِيمِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهِ رُجْمَةً عَظِيمَةً جِدًّا مِنَ الْحِجَارَةِ" (٢ صموئيل ١٨: ١٤ و١٥ و١٧).

آخرِ خمس دقائق قبل موت أبشالوم. تُرى ماذا جال بفكره؟ ماذا كانت كلماته الأخيرة المرتعبة؟ تخيل أن يموت أمير جذاب بهذه الطريقة.. عاجز، مُحاصر، لا يمكنه الدفاع عن نفسه أو الهروب من الموت القادم.

نحن وأبشالوم

أود أن أشير إلى الأسباب والظروف التي أدت إلى موت أبشالوم، خاصة وأن هناك الكثير من الشباب اليوم يحذون خطواته. انتبه لقولي: لم تكن الأمور على ما يرام في بيت أبشالوم. فعلى الرغم من كون أبوه رجل الله من نواحٍ عديدة، إلا أنه كذلك ارتكب بعض الأخطاء، ولم يكن دومًا قدوة صالحة.

قبل موته بفترة، صرح جون لينون في لقاء مع مراسل بمجلة أمريكية: "سوف تنتهي المسيحية.. سوف تختفي. ليس لديَّ شك بهذا. كان يسوع لا بأس به، لكن مواضيعه كانت بسيطة للغاية. اليوم نحن أكثر شهرة منه" من المعروف أن لينون مات على يد معجب مريض عقليًا.

إذ أساء أبشالوم التصرف، تضررت علاقته بأبيه. بدأ التمرد

يتحرك بقلبه. شيء قاد الآخر حتى انتهى الأمـر بأبـشالوم أخيرًا معلقًا في الهواء عاجزًا فيما انتظر قضاءه المحتوم.

كثيرون يسيرون بهذا الطريق.. شباب وسماء موهوبون. لعل أمور سلبية لم تسع إليها قد حدثت في حياتـك أيـضًا، وتسببت في ندوب نفسية خطيرة وأيقظت التمرد بـداخلك. فصرت تختلط مع أشـخاص غيـر مناسـبين.. أصـدقاء ومشيرين وضعوا قدمك في الطريق الخاطئ. وعلقت مـع أمور خاطئة.. خمر، مخدرات، فـسوق، وميـديا إباحيـة. خدعت نفسك لبعض الوقت بقولك أن هذه هي الحياة. والآن أدركت أخيرًا أنك لم تعد متحكمًا في الأمور. بـل تحكمـك أشياء أخرى، وأناس آخرون. وبين الوقت والآخر ينتابـك الفزع. فأنت محاصر، ولا يمكنك أن تجد طريقًا للهـروب. وها الموت يحاصرك.

لكن شكرًا لله على رحمته، فهناك آب آخر.. ليس ذلـك الذي خذلك، فهذا الآب لا يخذل أحد. وله ابن أرسله إلى هذا العالم ليموت بدلاً عنك وعني، وهو...

"يَرْثِي لِضَعَفَاتِنَا، [إذ هو] مُجَرَّبٌ فِي كُـلِّ شَـيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (عبرانيين ٤: ١٥).

يا أبشالوم، أود أن أدعوك.. أدعوك قبل فوات الأوان:

"فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عبرانيين ٤: ١٦).

ولا حتى الملوك يمكنهم غش الموت

كان أخاب ملك إسرائيل (المملكة الشمالية من إسرائيل) منذ ٨٧٣ حتى ٨٥٤ ق.م. كان من أكثر ملوك إسرائيل شرًا، ومتزوجًا من إيزابل الشريرة ابنة ملك الصيدونيين. لم يعبد أخاب الإله الحق، بل شجع على عبادة البعل، وبنى لصنمه مذبحًا في السامرة. وأغاظ الرب للغاية. لعل صراعه مع إيليا، نبي الله، معروفًا.. خاصة تلك المواجهة على جبل الكرمل بين إيليا وأنبياء البعل. إلا أن قتله الوحشي لنابوت اليزرعيلي، الذي رفض بيع كرمه الغالي الذي ورثه، هو ما جلب حكم الله أخيرًا على أخاب:

تانكريدو نيفير، مرشح سابق لرئاسة البرازيل، قال في حملته الرئاسية أنه إذا منحه حزبه ٥٠٠ ألف صوت، فلن يتمكن الله نفسه من إيقافه عن أن يصير رئيسًا. نال الأصوات. وقبل أن يصير رئيسًا بيوم واحد سقط مريضًا ومات.

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضًا"
(١ ملوك ٢١: ١٩).

ثم قرر أخاب أن يطلب من يهوشافاط، ملك يهوذا، أن يحارب معه ملك أرام. لكن كان عليه أولاً أن يطلب مشورة الأنبياء. قام كل الأنبياء الكذبة بتشجيع أخاب على الذهاب للحرب ضد الأراميين، قائلين أنه سيغلب. لكن يهوشافاط أصر على إحضار ميخا بن يملة، نبي حق للرب. فتنبأ أن أخاب سيموت في المعركة.

على الرغم من هذا التحذير، قرر أخاب الذهاب للحرب. ووضع خطة ليضلل الموت. كان يعرف أن الأراميين سيركزون عليه في المعركة، لأنه الملك. فأخبر يهوشافاط عن خطته:

"إِنِّي أَتَنَكَّرُ وَأَدْخُلُ الْحَرْبَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَالْبَسْ ثِيَابَكَ. فَتَنَكَّرَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَدَخَلَ الْحَرْبَ"
(١ ملوك ٢٢: ٣٠).

بدا في البداية أن هذه الخطة ستنجح. إذ كان ملك أرام قد منح جنوده أمرًا محددًا:

"لاَ تُحَارِبُوا صَغِيرًا وَلاَ كَبِيـرًا إِلاَّ مَلِكَ إِسْـرَائِيلَ وَحْـدَهُ" (ع ٣١).

عندما رأوا يهوشافاط في ثيابه الملكية ومركبته، مضوا وراءه. لكن حين أدركوا أنه ليس مَنْ يريدون، توقفوا عن مطاردته (١ ملوك ٢٢: ٣٢ و٣٣).

وحين بدا أن أخاب سيفلت بخطته، حدث أن

"رَجُلاً نَزَعَ فِي قَوْسِـهِ غَيْـرَ مُتَعَمِّدٍ وَضَرَبَ مَلِكَ إِسْـرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ الدِّرْعِ" (١ ملوك ٢٢: ٣٤).

استند أخاب إلى مركبته لباقي اليوم، وواجه بشجاعة الأراميين بينما الدم من جرحه ينزف إلى أرضية مركبته. إلا أن الموت كان يقترب بلا هوادة. حاول أخاب أن

دافيد هيوم كان ملحدًا معروفًا بالإضافة إلى كونه فيلسوفًا ومؤرخًا خرج عن مساره ليشكك في الديانة المسيحية. حتى حين بدا أن نهايته اقتربت، ظل محافظًا على مظهر اللامبالاة. إلا أن مدبرة منزله قالت أن عذابه الروحي تزايد تدريجيًا حتى بلغ حدًا مزعجًا. فلم يرغب في البقاء وحده، كانت الشموع تُترك مشتعلة طوال الليل، وكان نومه متقطعًا. بدا على وجهه لوم الذات والخوف، وزاد الأمر سوءًا فيما اقترب منه الموت.

> *كان بدون الله، وبدون رجاء. كان يأسه يمزق القلب. كانت كلماته الأخيرة قبل أن يفقد الوعي: "أنا في اللهيب".*

يظل متماسكًا في مركبته على قدر الإمكان. فلم يرغب أن يلاحظ رجاله، والأعداء بالتأكيد، أنه يحتضر. بدأ لونه يشحب ويشعر بالدوار. وصارت فترات الهدنة بين الدوار تقصر. ثم حانت لحظاته الأخيرة، وبحلول المساء كان قد مات من فقد الدم (١ ملوك ٢٢: ٣٧).

وبعد أن أخذوا جثمانه إلى السامرة، أخذوا مركبة أخاب إلى بركة السامرة حيث غسلوا الدم عن المركبة. ومجددًا لنا أن نتعجب من الطريقة التي تحققت بها كلمة الله:

> **وَغُسِلَتِ الْمَرْكَبَةُ فِي بِرْكَةِ السَّامِرَةِ (حيث تغتسل الزانيات) فَلَحَسَتِ الْكِلاَبُ دَمَهُ... حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ (١ ملوك ٢٢: ٣٨).**

إن تنكر أخاب لم ينفعه. إذ لم يتمكن من خداع الموت أو تجنبه... ليس بإمكان أحد هذا. العلم الحديث والتقدم الطبي، التخلص من أمراض معينة، والتركيز على الحياة الصحية.. أقصى ما يمكن لكل هذه الأمور عمله هو تأجيل الموت قليلاً، وتحسين مستوى معيشتك.

لكن في النهاية سوف تأتي آخِر خمس دقائق لجميعنا.. دون اعتبار لحياتنا الجيدة، دون اعتبار لالتزامنا بأسلوب حياة صحي وعادات جيدة في تناول الطعام، دون اعتبار لأي شيء نفعله لنحيا أطول فترة ممكنة.

سوف يكون هناك خمس دقائق أخيرة لكل منا.. ماذا بعد؟

خائن يختنق

ثم هناك يهوذا، محب المال، المتعصب، المتمرد السياسي. شخص وجد فيه إبليس مسكنًا له (يوحنا ٦: ٧٠). كان رجلاً مُضَلَّلاً. لم يرتفع يسوع إلى مستوى توقعاته، إذ لم يرغب في تحدي النظام الروماني. وبدلاً من دخول أورشليم على حصان أبيض، دخلها راكبًا حمار!

باع يهوذا يسوع مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، وخانه بقبلة. وفي وقت ما بليلة الخيانة الطويلة تلك، بدأ يشعر بوخز ضميره. ما هذا الذي فعله؟ وبحلول النهار لم يعد بإمكانه الاحتمال. فأسرع عائدًا إلى المجمع آسفًا، وقائلاً:

"قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا" (متى ٢٧: ٤).

هذا مال دم... لا أريده!

لم يتعاطف معه الكهنة كثيرًا، إذ أجابوا:

"مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ" (ع ٤).

كان قد فات الأوان.. إذ شعر أنه بائس ومُدان ويائس ومُستغَل من قِبَل إبليس، فرمى العملات الفضية ومضى، بينما تناثرت على أرض الهيكل، باحثًا عن حبل. مشى وحده إلى قطعة أرض الفخاري المهجورة، على الجانب الآخر من وادي هنوم – الكلمة العبرية التي أُشتقت منها كلمة "الجحيم". لم يره أحد يربط الحبل بغصن، ويعصب عينيه، ويضع رأسه في الأنشوطة، ثم يلقى نفسه من على صخرة. لقد نفذ يهوذا الأمر بعنف بالغ حتى انشق جسده وانسكبت أحشاؤه (أعمال ١: ١٨). هكذا وجدوه لاحقًا بذلك اليوم. لم يمكن استخدام الثلاثين قطعة الفضية في أمور الهيكل، إذ كان مال دم. لذا استخدموه في شراء حقل الفخاري، كمكان دفن للغرباء ويُدعى إلى هذا اليوم حقل الدم (متى ٢٧: ٦– ٨).

توماس باين، الفيلسوف أمريكي ومؤلف كتاب "عصر الفكر"، الذي قام فيه بتأليه الفكر والعقل وسخر من الكتاب المقدس. كانت كلماته الأليمة على فراش موته: "لكم أود أن أقدِّم ثروات العالم - إن كنت أملكها - فقط لو لم يُنشر أبدًا كتاب عصر الفكر. آه يا رب، ساعدني! ابق معي! إنه لجحيم أن أُترك وحدي!"

إن غموض يهوذا وموته قد حيَّرا الناس منذ ذلك الحين. هناك إنجيل مشكوك في صحته يُدعى إنجيل يهوذا، وهناك دان براون الذي هيج العالم بكتاب "شفرة دافنشي" المبني على مخطوطات هذا الإنجيل الزائف.

ستظل هناك دومًا تساؤلات تحيط بأي شخص ينتحر، وتظل تلك اللحظات السوداء الأخيرة لغزًا. فماذا يدور بفكر الشخص عندئذ؟ ما الذي يصارع معه؟

لا يمكنني إلا أن أحاول تخيل الندم والتقريع واحتقار الذات الذي صارع يهوذا معه في تلك اللحظات الأخيرة من حياته. لو كان قد جرى وحسب إلى المسيح، إلى النعمة، إلى المغفرة! أم كان قد فات الأوان؟

أغلب الظن أن كثيرين يقرؤون هذا الكتاب وقد صُدِموا لانتحار أحد الأفراد في عائلتهم أو دائرة أصدقائهم. والسؤال الذي يُطرح إن عاجلاً أم آجلاً هو "لماذا؟" ما الذي يجلب أحدهم إلى هذه المرحلة التي يصعب تخيلها حيث تفقد الحياة جاذبيتها ويصير الموت مرغوبًا أكثر من الحياة؟ ما هي الأفكار الأخيرة التي جالت بفكر هذا الشخص؟ ألم يكن هناك شيء جيد أو غالٍ أو قوي بما يكفي ليمنعه عن هذا القرار؟

فقط لو أمكننا أن نعرف بماذا يفكر المرء في هذه الدقائق الخمس الأخيرة قبل أن يقع الأمر الحاسم! لكن الآن قد تأخر الأوان لهذا كثيرًا.

سُجلت الكثير من الملاحظات عن الخطوات الأخيرة في رحلة حياة فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨). لعله كان من أشهر الملحدين على مر العصور. هناك مَنْ اعتبروه من أتباع مذهب الربوبية لأنه آمن بوجود كيان أسمى ودين مبني على العقل وحده وليس الوحي. كان من أشد معارضي الإيمان المسيحي، بل ومضى إلى ما بلغه اللاهوتيون المتحررون في زمننا بإنكاره لوجود يسوع تاريخيًا وإدعاء أن الأناجيل هي ناتج خيال بعض الناس.

لم يتردد فولتير في السخرية من الله علنًا، ودعاه كوميديًا يمثل أمام جمهور لا يجرؤ على الضحك. ومثل آخرين بعده، توقع أن المسيحية كانت ظاهرة على وشك الاختفاء. كما قال شيئًا آخر: "بعد مئة عام من زمني لن يكون هناك كتاب مقدس على الأرض، إلا ربما واحد يتم اكتشافه أثناء البحث عن الآثار".

جاءت محنة فراش موته نتيجة سكتة دماغية حادة. كان في لحظة نادمًا ويعاني تأنيبًا روحيًا. وفي اللحظة التالية كان يصر بأسنانه في ثورة غضب عارمة ضد الله والبشرية. كان من المفزع رؤية احتضاره. قام صديقه

اللاأدري* بحراسة باب غرفته، حتى لا يرى أحد مدى شناعة موت عدو لله.

حتى الممرضة التي اعتنت به في ساعاته الأخيرة على الأرض، بالكاد تمكنت من التعامل مع عذاب احتضاره. إذ قالت: "لا أريد أن أرى شخصًا غير مؤمن آخر يموت، ولا حتى مقابل كل أموال أوروبا". طوال الليل ظل هذا الرجل الغني المتعلم الذكي يصرخ: "اخرجوا هذا الوحش من حجرتي!" تُرى هل كان هذا ملاك الموت وقد أتى للمطالبة بنفسه؟ وكان يصرخ طالبًا المغفرة. وحين هددت آلام الموت بخنقه، توسل إلى طبيبه، الدكتور ترونشين: "سوف أعطيك نصف ثروتي إن تمكنت من مد عمري فترة ستة شهور". حين أخبره الطبيب أنه ليس بإمكانه عمل المزيد لأجله، ارتعب وصرخ قائلاً: "أنا متروك من الله والبشر! سوف أذهب للجحيم! أيها المسيح... يا يسوع المسيح!"

---

* مَن يعتقد أنه لا سبيل لمعرفة الله

الفصل الخامس

ليلة الحساب

"اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!"

(متى ٧: ١٣ و١٤).

في وقت أو آخر ستكون هناك لحظة حساب لأولئك الذين عاشوا حياة لا تكرم الله. كان **بيلشاصر** شخصًا مضى وقت النعمة له، شخصًا اضطر أن يسمع أنه وُزن ووُجِد ناقصًا.

التمهيد

إن الأحداث التي أدت إلى هذه الليلة الدرامية يؤكدها الكتاب المقدس والمصادر غير الكتابية كذلك. يخبرنا دانيال ٥ بأحداث الليلة الأخيرة لما كانت يومًا إمبراطورية بابل الجبارة. كما يخبرنا عن الليلة الأخيرة في حياة وحكم ملكها الأخير بيلشاصر.

"فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيْلْشَاصَّرُ..." (دانيال ٥: ٣٠)

جرت هذه الأحداث في بابل العاصمة، التي هي الآن في العراق. هذه كانت أعظم وأبهى مدينة في عصرها. كانت قد بُنيت على ضفتي نهر الفرات. وإذ كان النهر يعبر وسط المدينة، فلم تعان المدينة من مشاكل بالمياه. كما أحاطت بالمدينة قناة مليئة بالمياه كذلك.

كان نبوخذنصر قد شيد الحدائق المعلقة الشهيرة بالمدينة لإحدى زوجاته التي كانت نشأت في منطقة جبلية. كانت هذه الحدائق المعلقة إحدى عجائب العالم القديم. كما وجدت في المدينة كذلك أطلال برج بابل المعروف.

كان من المستحيل فعليًا اقتحام المدينة. إذ كان يحيط بها أربعة جدران منفصلة ومتوازية، يبلغ إجمالي سمكها حوالي ٢٤ مترًا. وكان يتم الاحتفاظ دومًا بمخزون من الطعام يكفي ٢٠ عامًا بداخل المدينة، مما يجعل أي حصار دون جدوى.

مستحيل اقتحامها، منيعة، مستقلة، آمنة، معضدة لنفسها... هذا ما اعتقده بيلشاصر وسكان بابل فيها. لكن لم يكن بإمكان المدينة أن تمنع حكم الله ويده.

عن بيلشاصر

يتطلب الأمر مع هذه الخلفية أن نعرف المزيد عن

بيلشاصر. حسب دانيال ٥: ٢، كان نبوخذنصر أبيه... الكلمة التي قد تعني أيضًا جد أو سلف. لقرون عديدة كان هناك غموض محيطًا بشخصية بيلشاصر، إذ ليس له ذِكر سوى في الكتاب المقدس. لذا ظن بعض المتشككين أنه من صنع خيال الكاتب. إلا أنه منذ عدة عقود تم اكتشاف مخطوطات بابلية أصلية أكدت المعلومات المذكورة بالكتاب المقدس.. كما جرت العادة دومًا مع كل الأمور. هكذا اجتمعت المعلومات الكتابية والتاريخية وتلك المأخوذة من علم الآثار لتمنحنا صورة مكتملة عن سقوط بابل والليلة الأخيرة لبيلشاصر.

سيزار بورجيا، رجل دولة، قال شيئًا في نهاية رحلته الأرضية قاله الكثيرون كذلك: "لقد رتبت مسبقًا لكل شيء خلال حياتي.. إلا الموت، والآن عليّ أن أموت غير مستعد على الإطلاق".

اسم بيلشاصر يعني "بعل (أهم الآلهة البابلية) يحمي الملك". كان ابن نابونيس، الذي كان غالبًا زوج ابنة نبوخذنصر. كان نابونيس قد أسلم الحكم لابنه بيلشاصر. ومضى بيلشاصر ليحيا في واحة عربية ليؤمن تعضيدًا ضد مادي وفارس، التي صارت تشكل تهديدًا على إمبراطورية

بابل التي كانت قوية من قبل. لهذا وعد دانيال أن يكون ثالث أعلى حاكم في المملكة (دانيال ٥: ٢٩). إلا أن السلطان والمكانة ليس لهما قيمة حين تبلغ حياتك نهايتها.

قبل هذا بعامين هُزم بيلشاصر في معركة أمام مادي وفارس، وانسحب إلى بابل. ولاعتقاده أن المدينة لا يمكن اقتحامها، لم يقلق حين حاصر العدو المدينة. بل أن واقع حصار جيوش الأعداء للمدينة لم يؤثر به، لدرجة أنه شارك في احتفالات دون أي هم على الإطلاق.

مشهد الوليمة

نقرأ في دانيال ٥: ١ عن الوليمة التي أقامها بيلشاصر، دون أن يعلم أن هذه آخر ليلة له على الأرض. كان هو وآلاف من نبلائه قد اجتمعوا معًا في قاعة الاحتفالات، كما حضرت كل سراريه كذلك.

تم أيضًا اكتشاف قاعة العرش والقصر الذي أُقيم فيه هذا الاحتفال. كانت أبعاد القاعة كالتالي: طولها ٥٢ متر، وعرضها ١٧ متر، وارتفاعها ٢٠ متر. وعند أحد الجدران، فوق مستوى الحشود، هناك فجوة على شكل صدفة وُضع بها عرش الملك.

حملت هذه الوليمة طابعًا مشؤومًا إلى حد ما، ففي النهاية كانت الإمبراطورية البابلية على وشك السقوط ومدينة بابل على مشارف كارثة. بل في الواقع، كانت الليلة الأخيرة لبابل. بينما كان العدو خارج أسوار المدينة يعد التجهيزات الأخيرة للاقتحام، كان بيلشاصر يحتفل! هل من استهتار أكثر من هذا؟ فقط لو أمكن لكل شخص لم يتصالح مع الله أن يعرف متى تحين ليلته الأخيرة على الأرض، حتى ما يرجع إلى الله في الوقت المناسب! لكن هناك الكثير من الناس، مثل بيلشاصر، يتجاهلون بعمى الإشارات التي تخبرهم باقتراب النهاية. فينغمسون بلا اهتمام في الاحتفال بالحياة، بينما الموت ينتظرهم عن قرب.

يمكنني تخيل المشهد في قاعة بيلشاصر الملكية: ألف من النبلاء يحتفلون بصخب على موائد ممتلئة بالطعام والشراب. الشمعدانات في كل مكان تنير القاعة الضخمة. الخدام يسرعون بكل الأنحاء. وبيلشاصر على عرشه العالي غارقًا في الثقة والرضا عن ذاته، إذ كان على يقين أن المدينة آمنة ومؤمَّنة. أحاط به الآلاف من نبلائه.. وفوق هذا كله، كان هناك التأثير المسكر للخمر. كم كان من الجنون

أن يستمر في شرب الخمر في أوقات حرجة كهذه، بينما الموت كامن خارج أبواب المدينة! أتسائل كم من الناس يموتون في جنوب أفريقيا سنويًا وهم تحت تأثير الخمر؟ يا لها من حالة يكون عليها المرء حين يقابل خالقه!

إن الخمر يجعل الناس يفعلون أمورًا لا يفعلونها في الظروف العادية. وعادة ما يصيرون وقحين، وأحيانًا ينسون المقدسات ويجدفون.
أحيانًا يجعلهم الخمر يتحدون الله.
انظر ماذا جعل بيلشاصر يفعل.

كولونيل كارترز، حين أدرك أن نهايته اقتربت، قال في يأس: "إني على استعداد أن أقدم ثلاثين ألف جنيه إن تمكن أحدهم من تقديم إثبات مقنع لي على عدم وجود جحيم".

أول شيء كان الطريقة التي دنس بها الأشياء المقدسة لله.

" وَإِذْ كَانَ بَيْلْشَاصَّرُ يَذُوقُ الْخَمْرَ، أَمَرَ بِإِحْضَارِ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا نَبُوخَذْنَصَّرُ أَبُوهُ مِنَ الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ، لِيَشْرَبَ بِهَا الْمَلِكُ وَعُظَمَاؤُهُ وَزَوْجَاتُهُ وَسَرَارِيهِ... كَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيُسَبِّحُونَ آلِهَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْخَشَبِ وَالْحَجَرِ" (دانيال ٥: ٢ و٤)

إن شفاه الملك السكران ونبلائه وسراريه قد لمست الآنية المقدسة لله. من الغريب كيف يسعى الناس كثيرًا في طلب أشياء الله المقدسة بشفاههم وأيديهم المدنسة! كما لو كانت أرواح شريرة تسيطر عليهم... أرواح تبغض الله وتحطم مقاومة الأفراد من خلال الخمر أو المخدرات، مما يؤدي إلى الافتراء على الله.

لقد فعل بيلشاصر ما لم يفعله نبوخذنصر العظيم حين أخرج الآنية المقدسة من أورشليم. فحتى في الفكر الوثني تعد أغراض الهيكل الخاصة بدين آخر مقدسةً. لكن بسبب التأثير المسكر للخمر، لم يعد بيلشاصر يحترم حتى مبادئه الوثنية. وهذا السلوك الخالي من المخافة والاحترام كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت تلك الليلة هي الأخيرة في عمر بيلشاصر.

حين اقترب ياجودا، الرئيس السابق للشرطة السرية الروسية، من الموت في ألم وعذاب روحي، قال: "لابد أن هناك إلهًا. وهو مشغول الآن بمعاقبتي على خطاياي!"

من الخطر للغاية أن تلهو أو تسخر من أمور الله المقدسة. إذ تأتي ساعة يقرر فيها الله أن هذا يكفي. لكن يبدو في حياة البعض أن هناك نقطة لا رجعة بعدها. تقريبًا كالغني الذي

نقرأ عنه في لوقا ١٢: ٢٠. لقد ازدهر دون الله، حتى وضع الله حدًا :

" **فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَاغَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟**"

لقد تمادى بيلشاصر كثيرًا، والآن وضع الله الحد لذلك!

الله يتدخل

ثم ظهر على غير توقع أمر في جدول بيلشاصر.. أمر لم يخطط له ولم يضعه في الحسبان. أمر أضافه الله. حقًا نعمة الله غنية للغاية، لكن الله لا يُشمخ عليه (غلاطية ٦: ٧).

أحياناً ما نخطط ليومنا، أسبوعنا، عامنا، حياتنا حسب جدول محدد.. جدول لا مكان فيه لله، ودون أخذ إرادة الله في الاعتبار. يعقوب ذكر هذا في يعقوب ٤: ١٣- ١٥،

"**هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: 'نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ'. أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: 'إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ'**".

هناك العديد أمور عديدة غير مخطط لها التي تطرأ فجأة بحياتنا دون سابق إنذار. عادة ما تكون مكالمة تليفونية واحدة، قرع على الباب، زيارة للطبيب.. ثم تنقلب حياتك تمامًا وتتمزق. وفجأة لا تعد هناك أهمية للأمور الملِّحة، ويختلف منظورك للحياة بالكامل. فليس هناك شيء مثل ظل الموت يجعل المرء يراجع أولوياته في الحياة على عجل. لكن المشكلة تكمن في أن الموت أحيانًا ما يباغتك فجأة وعلى غير توقع، فلا يتسنى لك الوقت لإصلاح أي شيء!

الأصابع

ماذا كان الأمر غير المتوقع في جدول بيلشاصر تلك الليلة؟ كانت تلك الأصابع التي بدأت في الكتابة على الحائط المقابل للملك وحسب! على الرغم من أنها بدت كيدٍ بشرية، إلا أن هذا لم يكن وهمًا من عقل مشوش لرجل سكير. بل كان وحيًا من الله في صورة بشرية.

بعد عرض قدمته مارلين مونرو، الممثلة الأمريكية الجذابة، ذهب بيلي جراهام الواعظ المعروف إلى الكواليس ليخاطبها. أخبرها أن روح الرب أرسله ليقدم لها البشارة بيسوع المسيح. فأجابت: "أنا لا أحتاج يسوع هذا". وبعد أسبوع وُجِدت ميتة في بيتها.

تخيل المشهد: الحوائط المبيَّضة والتي تحمل نقوشًا تصور معارك وانتصارات وألقاب وعظمة الملك والإمبراطورية البابلية. وهناك شمعدان هائل يتدلى من السقف في منتصف القاعة، أمام العرش الملكي تمامًا. وعلى ضوئه، ووسط النقوش على الحائط، أمكن فجأة رؤية تلك الأصابع تضيف المزيد من النقوش. لقد أفزعت هذه النقوش أعظم رجل على الأرض، حتى بدأ في الارتجاف. لا بد أنه كان مشهدًا مرعبًا.. تلك اليد المتحركة بدون جسد، تكتب على الحائط الأبيض في ضوء الشموع.

وعلى نفس الحائط الذي قرأ منه الملك كثيرًا، وربما في تلك الليلة أيضًا، أساطير عظمته ونبوغه، صار يقرأ تلك النقوش الغامضة التي لم تبشره بالخير. وكيف كان رد فعل ملك بابل العظيم هذا؟ لقد أرتعب الملك كما لم يرتعب قبلاً في حياته. لعل من الصعب أن نجد وصفًا أفضل لحاله من هذا:

كارل ماركس، مؤسس الماركسية والاشتراكية، كان في هوة اليأس عند موته. في ٢٥ مايو ١٨٨٣، وقبل موته بوقت وجيز كتب لصديقه فريدريك إيجلز: "كم أن الحياة عقيمة وفارغة!"

"حينئذ تغيَّرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره، وانحلَّت خرز حقويه، واصطكّت ركبتاه" (دانيال ٥: ٦).

هل يمكنك تخيل هذا؟ الملك بيلشاصر العظيم.. وتلك الشجاعة الزائفة التي يمنحها الخمر للناس قد تبخرت تمامًا في أعظم المدن وأكثرها آمنًا في العالم القديم وسط آلاف من المدن العظيمة في المملكة.

وما الذي أخافه هكذا؟ لم يكن ملاكًا ناريًا شاهرًا سيفه، لم تكن حزمة برق من السماء.. بل يدًا.. أصابع يد بشرية وحسب. لم تكن تحمل سيفًا، بل ربما حملت قلمًا عتيقًا وحسب.

إذا كانت أصابع الله قد أرعبت هذا الملك الجبار لهذه الدرجة، فماذا كان ليحدث لو ظهرت ذراع الله بالكامل؟ ماذا سيحدث حين تقف أمامه يومًا في كل مجده؟ إن يوحنا، تلميذه الحبيب، قد سقط على الأرض حين رآه في كل مجده على جزيرة بطمس (رؤيا ١: ١٧). إن كان هذا رد فعل يوحنا المؤمن، فماذا سيحدث لغير المؤمن والملحد؟

سوف يقف كل خاطئ أمام هذا الإله في يوم ما حين يجلس على عرشه الأبيض (رؤيا ٢٠: ١١ و١٢). يا لها من لحظة مخيفة إن كنتَ، مثل بيلشاصر، لا يمكنك توقع

نعمة أو تعليقات جيدة، بل يجب أن تسمع أنك "قد وزِنتَ ووجِدتَ ناقصًا". لا عجب أن الكتاب المقدس يخبرنا أن الناس سوف يصرخون في ليلة الخوف المفزعة هذه طالبين من الجبال والصخور:

"اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤيا ٦: ١٦- ١٧).

رد فعل بيلشاصر

إن رد فعل بيلشاصر ليس بغريب في محضر الموت. لكن لا يسع المرء سوى أن يتساءل: لماذا أزعجته هذه اليد والكتابة على الجدار إلى هذه الدرجة؟ فهو في النهاية لم يكن بإمكانه فهم الكتابة أو معناها. ألم يكن من الجائز أن تكون رسالة جيدة أو معلومة مواتية من أحد الآلهة التي كانوا يعبدونها لتوهم (دانيال ٥: ٤)؟

تشارلز داروين كان مَنْ نادى بنظرية التطور، وبهذا كان أكثر شخص ساهم في التقليل من شأن الإيمان بالكتاب المقدس وإله الكتاب المقدس. كثيرون اعتبروا نظريته تفسيرًا "علميًا" لأصل كل الأشياء، وبدأت هذه النظرية بالتدريج تتحول إلى ديانة.

لكن هذا لم يحدث.. بل ارتعب، وأفزعته أفكاره. الأمر مشابه بدخول شرطي إلى قاعة ممتلئة بالناس -قد يتعجب الجميع، لكن الهارب أو المذنب سوف يشحب وجهه فجأة ويبدأ يرتجف. إن الله قد منح كلاً منا ضميرًا. وفي لحظات كهذه، في لحظة الحق هذه، إما أن يشتكي ضميرك عليك أو يخبرك أن ما تفعله صواب (رومية ٢: ١٥).

من الواضح أن هذه الأصابع المتحركة لم توقظ أية توقعات إيجابية في قلب بيلشاصر. بل قام ضميره المذنب وحياته التي لم تكرم الله بالشكاية عليه، وجعلاه يدرك دون شك أنه لا سبب هناك يدعوه لتوقع أنباء طيبة من "الجانب الآخر"، وأن يد الملاك أو الله هذه لا تحمل له سوى رسالة مرعبة.

تكمن السخرية في أن داروين ذاته قد شك بنهاية حياته في نظرية التطور الضالّة هذه. وحسب جون مايرز في كتابه "أصوات من حافة الأبدية"، فإن داروين قد رأى الكتاب المقدس والله في ضوء مختلف قبل وفاته. ليت هذا يكون صحيحًا! إلا أنه قد اقتُبس قوله في حالة اضطراب: "كل شيء يبدو غير أكيد ومظلمًا".

هذا ما يحدث بوقت أو آخر للضمير المكبوت. قد تكتمه، أو تهدئه لعدة سنوات، أو تغلق عليه وتتكر وجـوده. وقـد تحاول صرف صوت الضمير بالعقل، بالعمـل، بإسـكاته، بالتفكير، أو بالخمر.. لكن يأتي يوم يحدث فيه شـيء مـا. يرسل الله شيئًا لحياتك. تظهر أصابعه، وفجأة ينهال عليـك ضميرك بكل مشاعر الذنب المكبوتة والمتراكمـة لـشهور وسنوات. لا يمكنك أن تُسكت ضميرك للأبد، لأنه جزء من روحك التي وضعها الله بداخلك.

هذا ما حدث لبيلشاصر... أفزعتـه أفكاره (دانيـال ٥: ١٠). اطمـئن.. فالله قادر على جعل قلـوب أقـسى الخطاة وأكثرهم اطمئنانًـا ترتجـف فجأة، ولا يحتاج في هذا لأكثر مـن تحرير ضميرك بداخلك. لكن بمجرد أن يبدأ ضميرك يفزعك، فقد يدفعك هذا لليأس.

السير توماس سكوت، رئيس مجلس اللوردات البريطاني، قال قبل موته بفترة وجيزة: "حتى هذه اللحظة كنتُ أعتقد أنه لا سماء أو جحيم هنالك. والآن أعلم وأشعر أن كليهما موجود، وأني قد سُلِّمتُ للهلاك بواسطة الحكم العادل للعليّ".

أذكر امرأة شابة مـن الكنيـسة الأولى التي خدمتُ بها. كان طفلها البالغ من العمر عامًا ونـصف قـد

وضع كيسًا بلاستيكيًا على رأسه بالخطأ، واختنق بينما هو جالس وحده في غرفته. لم يكن هناك ما يريب بالأمر. كانت مأساة عظيمة، ولم يتم إجراء أي تحقيق. ولاحقًا، ذهبت هذه المرأة فجأة لتعترف للشرطة أنها وضعت الكيس على رأس طفلها وخنقته. لم تتمكن من الحياة مع ضميرها أكثر من هذا. أفزعتها أفكارها، ولم يعد بإمكانها الاحتمال.

لكم من المخيف أن تفزعك أفكارك ويحاصرك ضميرك! ماذا تبقى الآن من روح الملك الشجاع المتحدي؟ ماذا حدث لتبجحه وشهرته وشجاعته؟ في لحظة كان بيلشاصر مذنبًا بتدنيس المقدسات وإهانة الله وتحديه. وفي اللحظة التالية كان يرتجف خوفًا بسبب يدٍ وبضع كلمات لا يفهمها حتى. لماذا لم يتجاهل اليد الكاتبة أو يسخر منها ويستمر في السكر والعربدة؟ لا.. كانت هذه ليلة حساب بيلشاصر. لم يكن بإمكان كؤوس مليئة بالخمر، أو نبلائه، أو سراريه أن يعيدوا إليه هدوءه. إذ لحقته خطاياه:

"... ثقوا أن خطيئتكم ستلاحقكم" (عدد ٣٢: ٢٣ من كتاب الحياة).

لا شك أنه من المخيف أن تكون آخِر ليلة لك كهذه. إن الحياة بدون الله هي أمر، لكن الموت بدونه هو أمر آخر

تمامًا. الشيء الوحيد الذي يجعل بؤس الخطيئة والضمير المذنب يتضاعف عشرات المرات هو أن الرحمة والنعمة كانتا متوفرتان مجانًا، وأنهما قُدمتا لك.. الله مد يده لك كذلك، وأنت لم تقبل أيًا من هذا. هذه بعض الأفكار التي تُفزِع غير المؤمن على فراش احتضاره. لكن لا شيء على الأرض يمكنه أن يهدئ ضميرًا مستاءً.

يمكن لكل منا أن يفكر أو يقول ما يشاء عن الله في هذه الحياة. لكن حين يلقي الموت بظلاله علينا، يغني الكثيرون نغمة مختلفة. هناك شيء واحد أكيد: أن أولئك الذين لم يكونوا قد اختاروا الله بعد في آخِر خمس دقائق قبل موتهم، سوف يدركون في أول خمس دقائق بعد موتهم أن الله لا يُشمخ عليه.

كانت الكتابة على الجدار، والجو مثقلاً بالكآبة، وأراد بيلشاصر إجابات. فدعا الملك السحرة والمنجمين فورًا ليفسروا له الكتابة على الحائط، لكن دون جدوى.

ثم تذكر أحدهم رجل الله، دانيال، الذي نُسي تمامًا في حكم بيلشاصر. فحتى هذه اللحظة لم يشعر بيلشاصر بحاجة لدانيال أو إلهه.

بدون تهاون كشف دانيال لغز الكتابة وأعلن حكم الله النهائي:

"مَنَا، أَحْصَى اللهُ مَلَكُوتَكَ وَأَنْهَاهُ. تَقَيْلُ، وُزِنْتَ بِالْمَوَازِينِ فَوُجِدْتَ نَاقِصًا. فَرْسِ، قُسِمَتْ مَمْلَكَتُكَ وَأُعْطِيَتْ لِمَادِي وَفَارِسَ" (دانيال ٥: ٢٦- ٢٨).

لقد انتظر بيلشاصر طويلاً جدًا، ومضى بعيدًا جدًا. والآن فات أوان الرجوع.. فات أوان الندم. أيمكن أن تكون هناك لحظة يمضي فيها وقت النعمة والفداء والخلاص؟ يبدو أن هذا كان الحال مع بيلشاصر.

خمس دقائق في لهيب الهاوية سوف تحقق نتائج لم تتمكن من تحقيقها كل العظات والصلوات والشهادات. إذ سوف يؤمن غير المؤمنين.. لكن بعد فوات الأوان! وعندئذ سيعرفون لماذا يقول الكتاب: "قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: "لَيْسَ إِلهٌ" (مزمور ١٤: ١؛ ٥٣: ٢).

فبينما كان بيلشاصر ينصت إلى حكم الله في منتصف الليل، كان جنود مادي وفارس خارج أسوار المدينة قد حولوا مجرى نهر الفرات، ودخلوا بابل من خلال القاع الجاف للنهر، وهكذا عبروا أسفل الأسوار المنيعة. وأخذت

المدينة، وسقط جنودها ونبلاؤها السكارى على غرة:

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيْلْشَاصَّرُ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ... (دانيال ٥: ٣٠).

الفصل السادس

الرجوع للبيت

"طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ،
لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ."

(متى ٥: ٣)

إن نعمة الله التي تفوق الوصف متاحة لكل مَنْ يقبل الله، حتى لو حدث هذا قبل وفاته بدقائق أو حتى ثوانٍ. لهذا ينبغي النظر إلى آخِرِ خمس دقائق في حياة المؤمنين على أنها دليل مقنع على قوة الله ومحبته.

في الوقت المناسب

لعل شمشون هو من أكثر الشخصيات الساحرة والموهوبة في الكتاب المقدس، وكان نذيرًا للرب. إن التطور الدرامي في أحداث حياته لمعروف للجميع. وحياته هي نموذج لشخص يملك العديد من المواهب والقدرات الاستثنائية، لكن يصاحبها صفات شخصية ضعيفة.

لقد استنفز شمشون نعمة الله، وجربه بقوة.. ثم تمادى جدًا. إذ أطلع دليلة على سر شعره الطويل، وعهد نذره.

نحن نعلم أن قوته لم تكمن في شعره بطريقة سحرية.

فالشعر يعد رمزًا للحيوية، وفي حالة النذير للرب كان أيضًا رمزًا لرضى الرب وإخلاص النذير لله. ولهذا السبب لم يُقص شعر النذير. إذ كان رمزًا مرئيًا أن نعمة الله معه، وأنه يسير مع الرب: ولهذا السبب كان فقدان شمشون لشعره رمزًا لعلاقته مع الرب التي كُسرت. كُسرت باشتراكه المستمر في الخطية، وكسر عهده مع الله. ثم انتهى به الأمر في سجن في غزة، وشعره محلوق، وهو مقيد بسلاسل نحاسية، وعيناه مقلوعتان. وهناك قام بعمل الحمار، إذ كان يدور حول المطحنة ليطحن الحبوب للفلسطينيين. عاجلاً أم آجلاً تجعلك خطاياك تصل إلى موضع المذلة هذا.

لكن يخبرنا الكتاب المقدس:

هنريك هاين، شاعر ومؤلف أغاني، اشتهر بتشككه وتجديفه، لكن لحسن الحظ عاد إلى صوابه في وقت لاحق بحياته. في ملحق لمختارات من قصائده تحت عنوان "رومانشيرو"، كتب: "حين تكون على فراش موتك، تصير فجأة حساسًا وترغب في التصالح مع الله والعالم... تلك القصائد التي حملت بعض الاستهزاء بالله، أسلمتها للهيب بحماسة وخوف. من الأفضل أن تحترق الأبيات عن أن يحترق كاتب الأبيات.

وَابْتَدَأَ شَعْرُ رَأْسِهِ يَنْبُتُ... (قضاة ١٦: ٢٢)

قد يقول البعض أن هذا أمر طبيعي. لماذا يحتاج الكتاب المقدس إلى ذكر هذا؟ لأن في هذه العبارة يكمن السر المذهل الذي جعل آخر خمس دقائق في حياة شمشون مذهلة للغاية. إذا كان شعر شمشون الطويل يرمز إلى رضا الله ونعمته في حياته، وفقد شعره يرمز إلى العلاقة المكسورة وفقد النعمة.. فإلى ماذا يرمز إذًا نمو شعره من جديد؟ إن واقع ذكر الكتاب لهذه الظاهرة الطبيعية ليس مجرد معلومة واضحة وغير ضرورية. فشعره يحكي قصة كاملة. كان شعره الطويل رمزًا لإخلاصه لله، ورضا الله عنه. حين تم قصه، كانت رأسه الحليقة رمزًا للخطية وعصيان الله وما تبع هذا من كسر لهذه العلاقة الخاصة. أما بدء شعره في النمو مجددًا فكان علامة أن النعمة انتصرت مجددًا، وأنه تم استعادة العلاقة من جديد.

وقبل وفاته بوقت وجيز كتب: "إن القيثارة القديمة قد تهشمت على الصخرة المدعو المسيح. تلك القيثارة التي قُصِدت للهوٍ شريرٍ بواسطة روح شريرة، القيثارة التي صخبت في طلب الثورة والتي غنَّت بالشك والسخرية والخيانة لله. آه يا رب.. يا رب إنني أحني نفسي وأتوسل: اغفر، اغفر لي أغانيَّ.

معجزة تحدث

في تلك الأيام والليالي المذِّلة المحزنة المظلمة في السجن، بدأ شيء يحدث دون أن يُلاحظ. لا يخبرنا الكتاب المقدس بهذا في عبارات كثيرة، لكن إن قرأت بانتباه ستلاحظ هذا بين السطور. ففي هذا الموقف البائس والمحبط، حدثت معجزة المعجزات.. بدأ ابن مكسور وضال من أبناء الله يبحث من جديد ويصلي ويعترف. لا يمكن لنا سوى أن نتخيل ما جرى بين الله وشمشون في عزلة هذا السجن البدائي المظلم. وفي ليلة مظلمة، أو بالنسبة لشمشون في نهار مظلم، انهار. شاعرًا بالندم، والدموع تنهمر من مقلتيه الفارغتين (مجازًا)، اعترف هذا الرجل الضخم بأنه ضل وأحزن الروح القدس باستمرار.. اعترف بعصيانه وخرقه لعهد نذره. لعل الله بدا بعيدًا في البداية، وبدا شمشون كالابن الضال الذي كانِ يملك كل شيء لكنه الآن يجلس وسط الخنازير، متسخًا وجائعًا.

ثم حدث شيء يمكنك أن تفهمه فقط إن كنت تعرف شيئًا عن الإله الوحيد الأبدي الرؤوف. إن هذه الترنيمة المحبوبة والمعروفة تلخص الأمر كله:

"يا لتلك النعمة المذهلة، يا لهذا الصوت الحلو الذي أنقذ بائسًا مثلي. كنتُ ضالاً يومًا والآن وُجِدتُ. كنت أعمى يومًا

والآن أبصرتُ". لقد غفر الله له وقَبَله.. بعينيه المقلـوعتين وكل شيء.

قد يتساءل أحدهم: إذا كان الفلسطينيون، الذين يؤمنون بالخرافات البدائية، مقتنعين بأن قوة شمشون غير الطبيعية تكمن في شعره.. فلماذا لم يستمروا في حلق شعره؟ لماذا تركوه ينمو مجددًا؟ أعتقد أن التفسير الوحيد لهذا هو أن الفلسطينيين بحسب فهمهم للدين لم يتخيلوا إمكانية أن يخذل أحدهم الله بهذه الطريقة ثم يُعاد إلى مكانته الأولى مجددًا. أو بعبارات كتابية: أن يخطئ أحدهم ويخذل الله لهذه الدرجة ثم يكون مستحقًا لنعمة الله مجددًا.

جيمس دراموند بيرنز كان بإمكانه أيضًا التطلع لهذا المكان الأفضل: "لسنوات كنت أحتضر، والآن سأبدأ أحيا".

أتخيل أنه في أية ديانة أخرى لن يكون هناك رجاء لمثل هذا الشخص، ولا إعادة لمكانته الأولى. لذا، لماذا يزعجون أنفسهم بحلق شعره؟ لقد تخلى عنه إلهه.. انظر إليه وهو يمشي كالحمار طاحنًا الحبوب. لقد رأى الفلسطينيون الكثير من قوة وحكم الله، لكن لم يروا الكثير من محبته ونعمته...

ثم أتوا بشمشون إلى احتفال عظيم في معبد إلههم داجون، وكان شعره قد طال مجددًا. ولم يعلموا أن علاقتـــه بالإلـــه الذي منحه قدراته الخارقة للطبيعة، قد استُرِدت.

أرادوا أن يهزئوا من عدوهم ويذلوه أكثر. عندئـــذ أدرك شمشون ما اضطر كثيرون غيره لمعرفته.. الله يغفر لـــك، لكن البذور التي غرستها تأتي بثمار عليـــك أن تحـــصدها، حتى إن كان الله قد غفر لك.

ثم طلب شمشون من الخادم الذي يقوده في عماه أن يضع يديه على العموديـــن اللذين يسندان سقف ذلك المعبد الهائل. وكانت آخرِ خمس دقائق في حياته على الأرض. تُرى هـــل علم؟

العودة لله

ثم دعا شمشون الإله الذي خذله شمشون كثيرًا مـــن قبـــل، والذي بدا أنه قد فقده، لكنه وجده مجددًا في السجن.. الإلـــه الرؤوف الذي سمح له أن يُوجد مجددًا:

> **"يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هـــذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ نَقْمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَـــيَّ مِـــنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ'...وَقَالَ شَمْشُونُ: 'لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ'. وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَـــى الأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّـــذِي فِيـــهِ، فَكَـــانَ**

الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّـذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ" (قضاة ١٦: ٢٨ و٣٠).

من الواقع المحزن أن يكسر الكثير من المؤمنين رباطهم مع الرب. لعلك واحد من هؤلاء. وحده الله يعلم إلـى أي مدى ضللت عن طريقك، وكم ابتعدت عنه.

من الخطير للغاية أن تكون فاترًا (رؤيا ٣: ١٥ و١٦). ولا يمكنك أن تلقي اللوم على الله عن هذا.

لابد أنه من المفزع أن تتجه إلى آخرِ خمس دقائق لـك في هذه الحالة المرتدة الفاترة. ربما ستسنح لك الفرصة في هذه الدقائق الأخيرة كي تصحح الأمور مـع الله، وتلقـي نفسك بين ذراعيه مجددًا. لكن ماذا إذا أتاك الموت فجـأة؟ ماذا إن كنت فاقد الوعي أو في غيبوبة؟

نعم يا شمشون، يمكنك أن تعود إلى بيتك.. إلى الله. حتى إن كنت قد غرقت عميقًا في الخطية، فنعمته مذهلة.

ربما عليك أن تدرك أنه يكلمك الآن بالفعل، وأن الوقت قد جاء لتقول:

"يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هذِهِ الْمَرَّةَ". قـل هذا في الوقت المناسب، قبل أن تأتي آخرِ خمـس دقـائق فجأة!

نعمة في الساعة الحادية عشر

يخبرنا البشير لوقا عن اللحظات المذهلة والحوار الذي دار بين يسوع و**اللص على الصليب**. لم تكن هذه هي اللحظات الأخيرة ليسوع وحسب، لكنها كانت اللحظات الأخيرة كذلك للصين صُلبا معه. لا نعرف بالضبط ماذا كانت جرائمهما... نعلم فقط أنهما كانا لصين ومجرمين. والكلمة المستخدمة لوصفهما في اللغة الأصلية لإنجيل لوقا تُستخدم عادة مع التعديات الشديدة والجرائم الكبرى.. تلك التي تُعاقب بالموت. ولهذا فمن المنطقي أن نفترض أن هذين الرجلين كانا مجرمين قاسيين، على عكس يسوع.

حانت لحظاتهما الأخيرة على الأرض كذلك. واختلف رد فعلهما لموقف الصليب الصعب:

> **"وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: 'إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!' فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً: 'أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ'" (لوقا ٢٣: ٣٩- ٤١).**

بطريقة ما أدرك هذا اللص أن الرجل المعلَّق إلى جواره ليس مجرمًا. تُرى هل أدرك هذا من كلمات يسوع وردود أفعاله قبل وبعد الصلب؟ أمن الممكن أن تكون قد استيقظت بداخله عندئذٍ ذكريات من طفولته ونشأته؟ هل كان الروح القدس، وقد وجد قلبه هشًا ومستعدًا؟ لماذا لم يصل اللص الآخر لنفس هذا الإدراك؟

لم يفت الأوان بعد

السخرية المريرة في هذا الأمر هو أن كلا اللصين كان على نفس القرب من يسوع جسديًا.. فهما قد صُلبا على جانبيه. كلاهما كانا على نفس القرب من الجحيم، ونفس القرب من باب الفردوس. كلاهما تمكنا من التحدث مع يسوع، وكان بإمكانهما الصلاة والطلب. كان يسوع يموت عن كليهما، وبإمكانه أن يُخلِّص كليهما.

لكن واحد فقط نادى بشغف:

"اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ" (لوقا ٢٣: ٤٢).

فسمع أروع كلمات يمكن لأحد أن يسمعها.. خاصة قبل الموت بدقائق وحسب:

"الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لوقا ٢٣: ٤٣).

لعل هذه كانت آخرِ كلمات هذا اللص على الأرض، لكنها كانت أهم كلمات نطق بها على الإطلاق. وآخرِ شيء فعلــه يسوع قبل أن يموت هو اجتذاب هذا الرجل كالحطب مــن النار.. هذا الرجل غير النافع، الشرير، الخــاطئ الــضال، الباحث، النادم.

تأمل الأمثلة التالية للكلمات الأخيرة لبعض من المحكــوم عليهم بالإعدام.

"سوف أقابل يسوع وجهًا لوجه الآن... أحبكم جميعًا جدًا. سوف أراكم حين تصلون هناك. سأنتظركم."

- كارلا فاي تاكر براون، أُعدمت في ٣ فبراير ١٩٩٨ بواسطة الحقن في تكساس.

"يمكنك أن تكون ملكًا أو كناسًا، لكن الجميع يرقصون مع ملاك الموت."

- روبرت إلتون هاريس، أعدم في ٢١ أبريـل ١٩٩٢ في حجـرة الغاز في كاليفورنيا.

" أشكرك على التغيير الذي منحته لي في حياتي، والمحبة والقرب مـن عائلتي وابنتي الجميلة. أشكرك على استخدامك لي..."

- جون كوكرام، أُعدم في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٧ بواسطة الحقن في تكساس.

"إني ذاهب إلى بيتي يا عزيزتي."

- جايمس آلان ريد دوج، أُعدم في ٣ مارس ١٩٩٣، بواسطة الحقن في ديلوير.

رجاء حتى النهاية

هناك رجاء لكل واحد منا.. حتى اللحظات الأخيرة قبل موتنا. شيء مثل التوبة في آخر لحظة.. تحول على فراش الموت. إلا أن هذا من أكثر الأمور حماقة لو تم تأجيله والاعتماد على التحول في اللحظة الأخيرة. لا أحد يمكنه الاعتماد على هذا. فلا أحد يعلم كيف ستكون آخِر خمس دقائق له/ لها. هل ستكون في كامل قواك العقلية؟ أم يصير ذهنك مشوشًا بفعل الأدوية أو الألم أو الحمى أو الخوف من الموت؟ هل ستكون في غيبوبة؟ كيف سيكون الأمر حين تواجه الموت؟ كيف يمكن لأحدهم أن يؤجل أهم قرار في حياته حتى آخِر خمس دقائق، حين تغلب على المرء غمامة الموت غير المتوقعة؟

أوغسطينوس، أحد آباء الكنيسة العظام من نهاية القرن الرابع، قال أن الكتاب المقدس يخبرنا عن اللص على الصليب وتحوله قبل الموت مباشرة حتى لا نيأس.. لكنه يخبرنا عن هذا وحده، حتى لا نغامر!

الآن أنت تقرأ هذه الكلمات، وتعرف موقفك مع الله. إذا كنت واحدًا من هؤلاء الذين أجلوا حتى الآن اتخاذ أهم قرار في الحياة، وهدأت نفسك باحتمال "التوبة الطارئة" في اليوم الذي تبدو فيه النهاية قريبة.. فالوقت حان، الآن، لتصلح

الأمور مع خالقك. أنت تعرف هذا.. يمكنك إنهاء الكتاب لاحقًا. لماذا لا تتجه إلى آخرِ صفحة الآن وتصلي هذه الصلاة من قلبك؟ الأمر لا يستحق أن تغامر وتخاطر بالتأجيل... فهذا خطير للغاية.

الشهيد الأول

يُشار إلى **استفانوس** عادة على أنه الشهيد الأول لأجل المسيح. إلا أن أطفال بيت لحم كانوا هم الشهداء الأولين. فهم قد ماتوا مكان المسيح، أو لأجله. والاستشهاد حسب الكتاب المقدس، والتقليد كذلك، كان مصير معظم تلاميذ يسوع.

كان استفانوس أول مَنْ عُيِّن في الكنيسة الأولى لخدمة محددة، وهي الاعتناء بالأرامل المتحدثات باليونانية. وسرعان ما ظهر أنه منعم عليه بالعديد من المواهب الإلهية المذهلة.. كان رجل إيمان وقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة وسط الشعب (أعمال ٦: ٨).

سرعان ما حدث اختلاف بينه وبين بعض المجموعات اليهودية. فهيجوا القادة اليهود ضده، وقُدِّم أمام مجمع اليهود. وكما حدث في محاكمة يسوع، أتوا بشهود زور.

مُنح استفانوس الفرصة كي يشهد ويكشف قلبه أمام المجمع. لم يحاول أن يناور أو يُخرج نفسه من المأزق، بل وبخهم على عنادهم ومقاومتهم لخطة الله في حياتهم.

وهناك، في مواجهة المجمع، حظي استفانوس بخبرة روحية استثنائية، حيث رأى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين الله. كان هذا أكثر مما يمكن للمجمع تحمله. فخالفوا القانون الروماني، ونفذوا قانونهم بأيديهم، وأخذوه خارج المدينة.

حانت آخِر خمس دقائق له على الأرض. وفي ثورة الانفعال والغضب الهستيري بدأت الحجارة تنهال عليه. وغالبًا لم يستغرق الأمر كثيرًا. يصف الكتاب المقدس هذه اللحظات الأخيرة:

"فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: 'أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي'. ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: 'يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ'. وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ" (أعمال٧: ٥٩ و٦٠).

بنعمة ونصرة

كانت نهاية بولس تقترب بالفعل بينما كان يكتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس. نعلم أنه سُجن في روما مرتين على الأقل في حياته. وكتب هذه الرسالة أثناء سجنه الأخير في روما.

غالبًا كان هــذا في عام ٦٣ ميلادية أثناء حكــم نيرون، الذي قام بحملة متوحشة ضد المسيحيين، خاصة في رومــا. كان قد ألقى القبض على بولس، أحد القادة البارزين، ثم أمر بقطع رأسه بعدها بفترة. ولأن بولس كان مواطنًا رومانيًـا، فأغلب الظن أنه حظي بمحاكمة قانونية ونال امتياز ألا يُقتل بإحدى الطرق القاسية الأخرى. بهذا كان موته سريعًا وغير مؤلم نسبيًا.. بقطع الرأس.

ريتشارد باكستر، خادم تقي للرب، مات ميتة مؤلمة. لا يُعفى دومًا المؤمنون من هذا. إلا أنه كان بإمكانه أن يقول: "حقًا لديَّ آلام، لكن لديَّ أيضًا سلام.. لديَّ سلام!"

كتب هذه الرسالة لابنه الروحي تيموثاوس، غالبًا قبل إعدامه بأسابيع أو بالأقصى شهور. ونجد بالرسالة الكثير من المعلومات الهامة.

موقف مروع

نعرف مثلاً من ٢ تيموثاوس ٩ أن بولس، الــذي كــان مسنًا في ذلك الوقت، قد عانى من ظروف مروعة. كتب من هناك قائلاً أن بسبب كرازته بإنجيل قيامــة يــسوع يعــاني ويوثَق مثل المذنبين. الكلمة المستخدمة "مذنب" تم استخدامها في اللغة الأصلية للكتاب المقدس مرة واحدة فقط في لوقــا ٢٣ لوصف الرجلين اللذين صُلبا مع يسوع، وهي تشير إلى

مجرمين ارتكبـــوا جرائم خطيـــرة وعادة ما يكون محكومًا عليهم بالإعدام.

كذلك لم يتم وضع هؤلاء السجناء في سجون عادية، لكن في زنزانات تحت الأرض. وفي زنزانة كهذه أمضى بولس آخِر أيامه، ويُقال أنها مزار سياحي في رومـــا الآن. إلـــى جانب كونه مسجونًا في زنزانة باردة مظلمة تحت الأرض، كان مقيدًا كذلك. يا لها من عقوبة ونهاية لتلميذ الرب العظيم هذا!

يمكن للمرء أن يجد المزيد من المعلومات في ٢ تيموثـــاوس ٤. فحسب بولس كان وقت إعدامه قد اقترب (ع ٦). غالبًا كانت محاكمة بولس قد انتهت، وصـــدر الحكـــم وصـــار يعـــرف موعد إعدامه. لهذا كرر مرتين في الآيات التالية أن تيموثاوس يجب أن يذهب إليه بسرعة (ع ٩ و٢١). وفي عـــدد ٢١ يضيف طلبًا هامًا:

"**بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ الشِّتَاءِ**".

هانا مور ماتت في سن الثامنة والثمانين في ٧ سبتمبر ١٨٣٣ بعد صراع مع صحة ضعيفة لآخِر عشرين عام في حياتها. كانـــت عـــادة مـــضطربة في أســـابيعها الأخـــيرة، لكنهـــا ظلت دومًا وبثبات تعترف بثقتهـــا المطلقـــة في المـــسيح مخلـــصها. وفي اليـــوم الـــسابق لوفاتهـــا قالـــت كلمتهـــا الأخيرة. صرخت: "فرح!"

كان تيموثاوس في هذا الوقت أسقف الكنيسة في أفسس. كان الأمر سيتطلب عدة أسابيع كي تصله الرسالة ويسافر إلى روما بالبر والبحر.

إلى جانب حقيقة أن الجو كان يبرد في الزنزانة تحت الأرض وأن بولس ترك رداءه عند كاريس في ترواس (٢ تيموثاوس ٤: ١٣)، فمن الممكن فهم طلب بولس الملّح من تيموثاوس أن يأتي قبل الشتاء على أن موعد إعدامه قد تقرر أن يكون في وقت ما بشتاء ٦٣ ميلادية.

مختصر

يتضح من كلمات بولس في ٢ تيموثاوس ٤: ٧ و٨ أن الرجل المتحدث ليس مرتعبًا أو قلقًا على الرغم من كونه يواجه عقوبة كبرى. بل هناك نصرة ورضا وعرفان في صوته فيما يقول:

توماس كرانمر (١٤٨٩–١٥٥٦) كان رئيس أساقفة كانتربري، وقائد حركة الإصلاح في إنجلترا. سُجلت كلماته الأخيرة: "إني أرى السماء، وأرى يسوع عن يمين الله".

"قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ".

من المذهل كيف لشخص مسجون ظلمًا وسيموت عن قريب لأجل الرب أن يتقدم من الموت بهذه النعمة والنصرة.

غالبًا كان تيموثاوس مع بولس حين تم اقتياده إلى منصة الإعدام. ورأى السياف يرفع سيفه. وغالبًا سمع بولس ينطق بصلاته الأخيرة مسبحًا:

"وَمَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى، الإِلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ، لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ" (١ تيموثاوس ١: ١٧).

كان تيموثاوس أحد الحاضرين فيما نال بولس الإكليل المعد للشهداء وحدهم.. إكليل البر (٢ تيموثاوس ٤: ٨). كانت آخر خمس دقائق لبولس قاسية، لكنها مليئة بالنصرة. ومَنْ يزيل الخوف مِن وادي ظل الموت (مزمور ٢٣: ٤) كان هناك.

مايكل أنجلو، رسام ونحات إيطالي معروف عاش في أواخر القرون الوسطى، قال في وصية وشهادة قصيرة: "إني أعهد بروحي لله، وجسدي للأرض، وممتلكاتي لأفراد عائلتي القربين. إني أموت في الإيمان بيسوع المسيح، وفي الرجاء الراسخ بحياةٍ أفضل". وكانت كلماته الأخيرة: "تذكروا آلام المسيح طوال حياتكم".

شهداء على مر العصور

كان من ضمن الحضور عند رجم استفانوس شاب يُدعى شاول. وفي الواقع فإن الشهود الزائفين الذين رموا الحجارة

الأولى على استفانوس، قد خلعــوا ثيابهم عندما بــدءوا في الرجم (أعمال٧: ٥٨). لا يسع المرء سوى أن يتساءل كيف أثَّرت الدقائــــق والكلمــات الأخيرة لاستفانوس على شاول، وإلى أي مدى ساهمت في اختباره بدمشق بعد وقت وجيــز! لعل بذرة الفداء قد غُرست في ذلك الوقت. نقرأ أن استفانوس صلى لقاتليه بينما الحجارة تنهال عليه:

"ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَــرَخَ بِــصَوْتٍ عَظِــيمٍ: 'يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ'. وَإِذْ قَالَ هــذَا رَقَدَ" (أعمال ٧: ٦٠).

قال أوغسطينوس، أحد آباء الكنيسة المعروفين في نهاية القرن الرابع، أنه لو لم يــصلِ اســتفانوس لأجــل قاتليــه ومعاونيهم في لحظاته الأخيرة، لكان هناك احتمال ألا يتحول شاول إلى الله. تخيل كم كــان ســينقص الكتــاب المقــدس والكنيسة عندئذٍ!

ما يقوله الناس ويفعلوه في لحظات حياتهم الأخيــرة لــه القدرة على الثبات بأذهان الحاضرين. لأن الناس لا يمثلّون في لحظاتهم الأخيرة.. لا أحد يلبس قناعًا عندئذٍ.

بلايين المؤمنين قد تبعوا خطوات استفانوس وساروا في طريق الاستشهاد. كثير من الحالات سجلها بدقــة مؤمنــون معاصرون، بالإضافة إلى المضطهدين. بعض أكثر القصص

البطولية، وإن كانت من أكثر القصص قسوة في التـــاريخ، تتناول موت الشهداء من المؤمنين المسيحيين.

من الممكن أنه في خلال الألفي عام الماضين قد استُشهد وقُتل أناس لإتباعهم يسوع المسيح، أكثر ممَـــنْ قُتلـــوا لأي سبب آخر في تاريخ البشرية.

يمكن للمرء أن يجد الكثير من الكتب والمجلدات عن هذا. ولهذا لن نحاول أن نحكي قــصص أفراد في هذا الكتاب. يكفي أن نقول أن هناك عــددًا لا يُحــصى مـــن الأمثلة، منذ زمن الكنيسة الأولـــى وحتى وقت قريب، عـــن معـــذِّبين ومشاهدين تأثروا بعمـــق بالأفعـــال والأقوال النبيلة والغير معتادة التي نبعت من بعـــض المـــؤمنين فـــي لحظاتهم الأخيرة قبل المـــوت. وفي كثير من الأحوال، كانت هذه بـــذرة قادت لخلاصهم.

ذهب شيوعي صيني، كان مسئولاً عن موت الكثير من المسيحيين، إلى كاهن وهو موبِّخ على خطيته وسأله: "لقد رأيت الكثيرين منكم يموتون. المسيحيون يموتون بطريقة مختلفة. ما هو سركم؟"

قال الأب المعروف ترتليان في نهايـــة القـــرن الثاني عن حق أن دماء الشهداء هي بذرة الكنيسة. فحيث جرت دمـــاء الشهداء، بدأت الكنيسة تنمـــــو. فالمـــسيحيـــون كـــانوا

يتقدمون إلى الموت بطريقة مختلفة، أحيانًا مترنمين ومصلين ومسبحين، وأحيانًا كانوا يصلون لمَنْ يعذبونهم ويقتلـوهم - كما فعل يسوع واستفانوس. وأحيانًا ما كان يحدث شيء مـا لأعداء الصليب المتعصبين.. فالطريقـة التـي مـات بهـا المؤمنون كانت تستحوذ حقًا على قلوبهم وأذهـانهم. وكـان الروح القدس يستخدم شهادة موتهم ليقنع أقسى القلوب بمحبة يسوع الناصري.

لك أن تسمع وتقرأ اليوم فـي دهشة عن أفعال وأقوال المؤمنين العاديين قبل موتهم بدقائق، فتدرك أن هذه الـشجاعة والمحبـة لله، وللأعداء كذلك لا يمكن أن تكون مجرد رد فعل بشري. فالطريقـة التي تواجه بها الموت هي أكثـر مؤشر أكيد وموثوق به علـى أن إنجيل يـسوع المـسيح حقيقـي، أصـيل، فـائق للطبيعـة، وذو سلطان.

جوزيـف أديـسون، كاتـب معـروف مـات في ١٧ يوليـو ١٧١٩. من الواضح أنه أرسل في طلب أحد أفراد عائلتـه لم يكن قد نال الخـلاص بعـد، وذلك حين أدرك أن موته قد اقترب، مـستخدمًا الكلمات التالية: "لقد أرسلتُ لك كـي تتمكن من رؤية كيف يموت المؤمن".

إن أجمل عبير للزهرة يصدر حين تُسحق. وحقيقة ما فعله الله في حياة الناس حقًا عادة ما يُرى عند الموت.. نعم، وحتى عند استشهاد أبنائه.

لقد رأيتُ بنفسي الدليل الذي لا يُدحض على الحق والقوة اللذين للإنجيل في حياة أناس يخطون خطواتهم الأخيرة في رحلتهم عبر الحياة. وأؤكد لك أن هناك اختلافًا بين هذه الخطوات الأخيرة للمؤمن وتلك التي لغير المؤمن.

الفصل السابع

هل وُضع الحد لك ؟

"وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحد كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ."

(رؤيا ٢٢: ١٢ و١٣)

أود في هذا الفصل أن أناقش السؤال الذي يُطرح كثيرًا، ولعلك تساءلت عنه أيضًا: هل تاريخ موت الفرد محدد مسبقًا.. عند الميلاد أو ربما حتى قبل الميلاد؟ وبعبارة أخرى.. هل هناك "حدٌ موضوع" لكل منا، وحين يأتي هذا اليوم ينتهي كل شيء بغض النظر عما تفعله أو كيف تحيا؟ وإن كان الأمر هكذا، فمن يضع هذا الخط؟ هل هو الله، أم الشيطان، أم أنت أو شخص غيرك؟

إذا اعتقدت أن هناك حدًا موضوعًا لك، فمن الممكن أن يتسبب هذا في سلوكٍ مؤمنٍ بالقضاء والقدر. وعندئذٍ تسمع الناس يقولون: "حين يحين أجلك، فقد حان. إذا لم تمت من السرطان، فسوف يقتلك سائق سكير أو تصيبك رصاصة طائشة أو تتحطم طائرتك.. ما سيكون، سيكون". وقد يجعل

هذا الناس يعيشون بطريقة غير مسؤولة، أو يخاطرون بحياتهم ليشاركوا في أنشطة خطرة بهذه الفلسفة: "إذا حان أجَلَك، فسوف تموت على أي حال". أو بطريقة أخرى: "إذا لم يحن أجَلي، فسوف أنجو".

للأسف، يجعل هذا المنظور الله هو المتسبب في كل الوفيات. وعندئذ يُوضع على عاتق الله حتى موت الأطفال السابق لأوانه. وتجد نفسك تواجه التعزية "السهلة" التي يقدمها البعض: "لابد أن أجَلَه قد حان". أو حين يفلت أحدهم من الموت بأعجوبة على عكس التوقعات، يقول أحدهم: "غالبًا لم يحن أجَلَه بعد".

حين يكتب أو يتكلم أحدهم عن الموت، فعليه دومًا أن يدرك أن الموت يحيطه الغموض. ستظل هناك دومًا أسئلة -خاصة في حالات الموت السابق لأوانه- لا يمكن إجابتها، ولا يجب أن يحاول أحدهم إجابتها. إن وقائع عالمنا المعطوب هذا من معاناة وموت، ومن جانب آخر الله وإرادته، يتركان أبرعنا في عوزٍ للكلمات. في الواقع، وحده الأحمق سيعتقد أن هناك إجابة لكل شيء ويحاول إيجادها. لأصدقك القول، فكلما تقدمتُ في السن وفكرتُ وتحدثتُ أكثر

عن الموت، كلما زادت الأسئلة لديَّ وقلَّت الإجابــات وزاد غموض الأمر.

توطيــوس، الــشاعر والخــادم واللاهــوتي الأفريقــي المعروف، صارع مع عدم الفهم هذا حين ماتت ابنته بعد أن صعقها البرق في بيته. كتب قصيدة عنوانهــا "قــرار الله"، وفيها وصف صراعه كمؤمن لفهم إرادة الله وقراره في هذا الحادث المؤسف والمؤلم.

لهذا، حين أقدم رأيي في هذا الأمر بناءً على الكتاب المقدس، فإني أفعل هذا بتواضع عالمًا أن الله وحده هو كلي المعرفة والحكمة. حين تفكر أو تتحدث أو تكتب عن الموت، تأتي أوقات يكل فيها عقلك وتغيب عنك الكلمات وتدرك أن هناك الكثير الذي لا تفهمه. لكن هناك مبادئ أكيدة أود أن أناقشها معك...

الله حياة

أولاً، علينا أن ندرك أن الله حياة. فالله هو مصدر الحياة وواهبها. والموت، مثل الخطية، ليس من الله. بل الموت هو قوة غريبة شريرة. وفي حين أن لله السلطان علــى الحيــاة والموت، إلا أننا عادة ما نربط الحياة بالله، والموت بالخطية والشيطان.

إن الحياة تنتمي لله. وهكذا فإن من يسلب أحدهم حياته – إلا إذا كان بسماح من الله (كحالة دفاع عن النفس، أو في حالة "سيف" الحكام رومية ١٣: ٤) – يتعدى على شيء ينتمي لله. ونجد هذا المبدأ في الوصية السادسة:

"لاَ تَقْتُلْ" (خروج ٢٠: ١٣).

الموت عدو الله

ثانيًا، يُصوَّر الموت في الكتاب المقدس على أنه عدو الله.. العدو الذي غلبه يسوع على الصليب:

"آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ... ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ. أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟" (١ كورنثوس ١٥: ٢٦ و٥٤ و٥٥).

لهذا أمكن ليسوع أن يقول هذه الكلمات الغالية ليوحنا في رؤيا ١: ١٧ و١٨،

"لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ".

إن امتلاكه لمفاتيح الهاوية والموت يعني أن الموت تحت سلطانه بالكامل.

جيك هيس، مرنم أمريكي معروف، تمكن في نهاية معركته مع السرطان من أن يقول: "الموت ليس أمرًا جللاً".

علينا أن نفهم هذا جيدًا: يسوع المسيح قد غلب الموت. في الأزمنة القديمة كان بإمكان الملك الذي يهزم عدوه أن يقتله أو يجعله خادمًا له. لذا فإن قولي أن يسوع غلب الموت لا يعني أن الموت ليس له وجود الآن.. لكن يعني أن يسوع يمكنه الآن استخدام الموت في خدمته.

حقًا سيأتي يوم في نهاية هذا العالم حين "يقتل" الله الموت، فيبطل الموت ولا يكون فيما بعد. ولهذا يمنحنا الكتاب المقدس أخبار غلبة في النهاية:

وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ...

(رؤيا ٢١: ٤)

ملاك الموت أم ملائكة الله ؟

على الرغم من أن يسوع ربٌ – على الموت كذلك– فهذا لا يعني أن الله هو المسؤول عن موتنا.. فهو ليس بقاتل. فكما ذكرنا، يُعَّد الموت عدو الله وقد غلبه الله.

وبإمكان الله أن يستخدم الموت ليخدمه ويخدم مجده. وفي هذا السياق، من

كاثرين بووث كانت ابنة ويليام بووث، مؤسس جمعية جيش الخلاص. وكانت قد استكملت عمل أبيها بعد موته. لحسن الحظ تم تسجيل كلماتها الأخيرة وهي تمضي إلى ظل الموت: "الماء يرتفع، وكذلك أنا أيضًا. إني لا أهبط لأسفل بل أرتفع لأعلى. إلى اللقاء حتى يبزغ الفجر وتتلاشى الظلال".

الجيد أن نلاحظ مَنْ هو ملاك الموت المزعوم. ما الذي يمكننا استخلاصه من الكتاب المقدس عن هذا الكائن؟

من الواضح أن هناك كائنًا خاصًا –أو عدة كائنات– يستخدمهم الله للمطالبة بنفوس مَنْ لم يخدموه أو يخافوه، ولأخذهم إلى الهاوية (لوقا ١٢: ٢٠). تذكر أنه لا سلطان للشيطان كي يلقي الناس في الجحيم (لوقا ١٢: ٤ و٥). وحسب هذه الآية، فالشيطان لا يمكنه سوى أن يقتل الجسد.

نقرأ في خروج ١٢: ٢٣ عن "المُهلِك" الذي استخدمه الرب لقتل أبكار المصريين. هذا هو المُهلِك المُشار إليه في عبرانيين ١١: ٢٨،

"بالإِيمَانِ صَنَعَ الْفِصْحَ وَرَشَّ الدَّمَ لِئَلاَّ يَمَسَّهُمُ الَّذِي أَهْلَكَ الأَبْكَارَ".

قد يكون هو نفس الملاك المذكور في ٢ صموئيل ٢٤: ١٦ و١٧. وقد يكون "المُهلِك" أو "ملاك الموت" هو أيضًا نفس الملاك المذكور في رؤيا ٩: ١١، الذي هو قائد مجموعة من الكائنات الشريرة التي ستعذب الناس عذابًا رهيبًا أثناء الضيقة العظيمة:

"وَلَهَا مَلاَكُ الْهَاوِيَةِ مَلِكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ 'أَبَدُّونَ'، وَلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ 'أَبُولِّيُّونَ'". هذا الاسم في العبرانية واليونانية يعني "المُهلِك".

على الرغم من أن هذا الكائن (المُهلِك أو ملاك الموت) الذي يأتي للمطالبة بنفوس غير المخلَّصين وغير المؤمنين والعاصين (لوقا ١٢: ٢٠) حسب هذا المنظور هو رمز شيطاني بارز في مملكة إبليس، إلا أن الله يستخدمه أيضًا في هذه المهمة. وليس بالأمر الغريب في الكتاب المقدس أن نجد الله يستخدم حتى الأرواح الشريرة في خدمته لأداء مهام معينة (١ صموئيل ١٦: ١٤ -١٥؛ ١ ملوك ٢٢: ٢١ - ٢٣). فقوة الله الفائقة تُجبر حتى الشيطان وأتباعه على طاعة الله. لذا علينا ألا نعتقد أنه غريبًا أن يتمكن الله من استخدام ملاك الموت في خدمته وخدمة مجده... فهو الرب!

حين تنظر للموت من بعيد وتفكر فيه، قد يجلب عدم يقين هذه الحياة الخوف إلى قلبك. لكن حين يقترب مَنْ ينتمون لله من وادي ظل الموت، يتلاشى الخوف. قال آرتاجور: "الموت لا يعني انقطاع الأنوار، لكنه إطفاء المصباح لأن الفجر قد بزغ".

أليس من الرائع أن نعلم أن أبناء

الله لن يُساقوا عند موتهم بواسطة هذا الوحش، لكن بواسطة ملائكة الله ذاته! لا عجب أن يختلف تمامًا رد فعل المؤمنين عن غير المؤمنين فيما يخص خبرات فراش احتضارهم. فمن الجائز جدًا أن يكون لهذا علاقة بالكائن الذي يقابلهم فيما يعبرون إلى الجانب الآخر!

جميعنا نموت

ثالث مبدأ عن الموت نحتاج أن ننتبه إليه هو أن جميعنا نموت. فللأسف هذا ناتج لحياتنا على الأرض، وسقوطنا بالخطية. تخبرنا رسالة عبرانيين ٩: ٢٧ أنه وُضع لنا أن نموت. وكما ذكرنا من قبل، فنحن نعلم عن استثناءين فقط لهذه القاعدة: أخنوخ وإيليا. وبالطبع المؤمنون الذين سيكونون أحياء عند المجيء الثاني للمسيح.

من الطبيعي أن يود معظمنا أن نحيا لأطول وقت ممكن.. هذا أمر عادي. فالرغبة البشرية في الحياة هي من أقوى الدوافع المحرّكة. حين تفقد هذه الرغبة الدافعة، وتدخل مرحلة تفضل فيها الموت على الحياة، فهذه علامة أكيدة على الاكتئاب. وفي أغلب الأحوال يكون الشخص الذي ينتحر أو يفكر في الانتحار، في هذه الحالة.

السن ونوعية الحياة

بعد أن أشرت إلى أننا جميعنا سنموت، سأحاول أن أجيب على التساؤل إذا كان هناك مدة حياة مثالية.

أو بصياغة أخرى: كم من الزمن يجب أن يحيا المرء؟ كم من الزمن لنا أن نتوقع أن نحياه؟ كم من الزمن تود أن تحيا؟ ما هو السن المناسب؟ متى يكون المرء قد كبر بما يكفي ليموت؟ متى يشعر المرء أنه نال كفايته، وخدم هدفه في الحياة؟ ما هي الشروط؟ ماذا يجب أن يحدث لك حتى تقول: "حياتي كانت مثمرة، الآن يمكنني أن أموت"؟

يُعد عامل السن هو الأهم بالنسبة للبعض. هؤلاء يعتقدون أن النجاح وكمال الحياة سوف يتحددان حسب عمرهم. كثيرًا ما أسمع الناس يقولون: "سوف أحيا حتى يصير عمري مئة عام".

لكني أعتقد أن نوعية حياة الفرد هي أهم من عدد الأعوام التي يقضيها على الأرض فحسب مزمور ٩٠: ١٠، هناك مَنْ يعيشون حتى السبعين والثمانين، لكن أيامهم "تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ". كثيرًا ما تقابل أناسًا يفضلون الموت بسبب فترات استنزاف في محن وآلام ومعاناة. جميعنا نعرف أشخاصًا مسنين ومجهدين، ولا يستمتعون بالحياة.. ويتمنون الموت.

كذلك يسرى الأمر على مَنْ اختبروا ظروفًا قاسية في حزن وتعاسة. هؤلاء تسمعهم يقولون: "لقد تعبتُ من الحياة".

ولهذا أرى أن العدد الأمثل من الحياة هو الأهم، وليس الأقصى. بيولوجيًا يمكن للمرأة أن تنجب حوالي ٢٥ طفل في حياتها، لكن هل هذا حقًا العدد الأمثل والأفضل؟ هل مئة عام هو السن المثالي إذا قضيت آخِر ثلاثين عام في ألم، عاجزًا ومسلوب الكرامة الإنسانية؟ إذًا ما هو السن الأمثل؟

الإنجاز في الحياة

إلى جانب نوعية الحياة، يُعد الانجاز في الحياة ذا أهمية عظمى. فهو يشير إلى فهمك وتحقيقك لأهدافك، أو بالأحرى لقصد الله لحياتك، وقيامك بالاستخدام الأمثل لمواهبك والفرص التي تسنح أمامك. الأهم من العمر الذي تبلغه هو الفرح بمعرفة أن حياتك قد صنعتْ اختلافًا.. أنك تركتَ وراءك تراثًا يعني شيئًا لآخرين.

جورج وايتفيلد، واعظ معروف من معاصري جون وسلي في القرن الثامن عشر، صلي في ظلال الموت: "ربي يسوع، إني متعب... إن كنتُ لم أكمل عملي، فدعني أشهد لك مرة أخرى وأؤكد الحق ثم أرجع الى وطني لأموت".

إذا كنتَ قد أتممتَ مقاصد الله وأكملتَ مهمة حياتك، ستكون عدد السنوات التي تحياها ذات أهمية ثانوية. تأمل كلمات يسوع لأبيه في يوحنا ١٧: ٤،

"الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ".

لهذا أمكنه أن يقول بعد ٣٣ عام فقط على الأرض، وعلى الرغم من موته السابق لأوانه:

"قَدْ أُكْمِلَ" (يوحنا ١٩: ٣٠).

هناك الكثير ممَنْ لم يعيشوا حتى سن كبير، وكانت نوعية حياتهم غير مشجعة نتيجة مرض أو إعاقة، لكن على الرغم من ذلك عاشوا حياة هادفة وقيمة. مثال معروف لهذا هو "هيلين كيلر". هذه السيدة وُلِدتْ طفلة طبيعية في ٢٧ يونيو ١٨٨٠، لكن صارت عمياء وصماء تمامًا بعد إصابتها بالتهاب السحايا وعمرها تسعة عشر شهرًا. ولهذا لم تتمكن قط من التحدث بصورة جيدة. إن قصتها المؤثرة تُظهر كيف تمكنتْ، بمساعدة الآخرين، من تخطي إعاقتها حتى صارت مصدر تشجيع وبركة عظيمين لعدد لا يُحصى من الناس.

هناك العديد من الأمثلة الأخرى لأشخاص عانوا من إعاقة ما أو مشاكل جسدية، وعلى الرغم من هذا استمروا في الحياة بابتهاج. كما استمروا في التأثير على حياة

آخرين، ولا يزالوا. كل ما أود قوله هو أنٍ الحياة الهادفة المُثلى هي أهم، وتُبنى على ما هو أكثر من مجرد عدد السنوات التي تحياها. والسؤال هو: ماذا فعلت بالفرص والمواهب والسنوات التي مُنحتَ إياها؟

قد يكون من المعزّي لمَنْ مات أحد أحبائهم قبل الأوان أن يسألوا عما حملته حياة المتوفي من معنى للآخرين. وكما ذكرنا من قبل، كان يسوع في الثالثة والثلاثين وحسب حين مات. لا يمكن لأحد أن يبدأ حتى في إدراك مدى تأثيره على حياة عدد لا يُحصى من الناس. كذلك كثيرون ممَنْ ماتوا في سن صغير جعلوا من هذا العلم مكانًا أفضل. فبعض أعظم المخترعين والملحنين

لويس باستير كان عالمًا معروفًا، والأهم أنه كان مسيحيًا مؤمنًا. كان يرى أنه لا ينبغي أن يكون هناك صراع بين العلم والمسيحية... بل العكس. كان يؤمن أن العلم يجب أن يجعل الناس يقتربون إلى الله. وفي عمله كعالِم وجد أدلة على الحكمة والترتيب، وليس الصدق والفوضى. قال باستير: "كلما درست الطبيعة أكثر، كلما وقفت مذهولاً أمام عمل الخالق". كان لا يتزعزع في إيمانه بالله كخالق، وعارض بشدة داروين ونظرية التطور الخاصة به "لأنها لا تتفق مع الدليل العلمي".

والفنانين في التاريخ قد ماتوا في أعمار صغيرة نسبيًا.

استعد للأبدية

هناك أمر آخر يتعلق بطول حياتك -ولعله الأمر الأهم- ألا وهو السؤال الهام: هل قدمتَ حياتك لخالقك؟ هل تصالحتَ معه من خلال ابنه يسوع المسيح؟

على ضوء هذا السؤال لا يصير لموضوع السن علاقة بالأمر على الإطلاق. فقد يحيا أحدهم حتى يبلغ مئة عام ويموت مشهورًا وغنيًا للغاية، لكن إن بلغت الأبدية دون قبول خلاص يسوع لك، فقد ضعتَ للأبد.. عندئذ تكون حياتك فاشلة وضاعتَ دون جدوى.

من جانب آخر هناك الطفل الذي يموت في سن العاشرة، لكنه قَبِلَ يسوع. على قدر ما قد يبدو موته السابق للأوان مأساويًا، إلا أن حياته لم تضع سدى.

وحمله إيمانه عبر تجارب كثيرة. ثم مات بسلام في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٥ بعد حياة طويلة ومثمرة. قبل هذا، قال لويس باستير عند فراش ابنته التي تحتضر: "أعرف فقط الحقائق التي يؤكدها العلم، لكنني سوف أؤمن بما أود أن أؤمن به، وما لا يسعني إلا الإيمان به: أتوقع أن أرى هذه الطفلة الغالية في العالم الآخر".

والسبب وراء هذا يرجع إلى كون هذا هو الهدف الذي مُنحنا لأجله هذه السنوات على الأرض.. لنتصالح مع خالقنا، لنجد الله ونستعد للأبدية. إذا حدث هذا، يصبح كل شيء آخر في الحياة –حتى سنّنا– ذا أهمية ثانوية.

رفيقنا الدائم

في حين أني أؤمن بأن الله هو مانح الحياة، إلا أن من نتائج السقوط هو أننا لا يمكننا أن نحيا هنا إلى الأبد وأن الموت قد دخل نطاق الحياة. يوضح بولس هذا في رومية ٥: ١٢،

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ".

قد يبدو هذا كئيبًا، لكن بطريقة ما يُعد الموت رفيقنا الدائم في رحلتنا عبر الحياة. كم هي حقيقية كلمات داود ليوناثان:

"إِنَّهُ كَخَطْوَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ" (١ صموئيل ٢٠: ٣).

إن الموت هو نتاج عملية تحدث طوال العمر – كلما تقدمتَ في العمر، كلما حدثتْ أسرع. وليس هناك مهرب من الموت. لكن السؤال: ماذا سيجعل رئتيك تسحب آخرِ نفس،

وقلبك يخفق لآخِر مرة؟ قال تشارلز سبيرجين ذات مـرة: "لحظة ما نبدأ نحيا، نبدأ نموت. الموت هو نهاية الاحتضار، وليس نهاية الحياة".

على الرغم من هذا أؤمن بأن الله يريدنا أن نستمتع بحياة كاملة، سعيدة، ومشبعة على الأرض.. حياة مُثلى. ومع أنه من الصعب تحديد سن مثالي، إلا أن هناك جزأين بالكتـاب المقدس عن هذا الأمر، وكلاهما يدفع المرء إلى التفكير. بعد أن كان الناس في البداية يعيشون طويلاً جـدًا، وضـع الله حدودًا واضحة منذ الارتداد الشديد الذي انتشر قبل الطوفان:

"فَقَالَ الرَّبُّ: 'لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِه، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً'" (تكوين ٦: ٣).

ثم هناك صلاة موسى في مزمور ٩٠: ١٠ حيـث يبـدو منهكًا:

"أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لأَنَّهَا تُقْرَضُ سَرِيعًا فَنَطِيرُ".

لا أعتقد أنه بإمكاننا الوصول إلى نتيجة حاسمة من هاتين الآيتين. لكن من الحقيقي أن الإنسان حاليًا يعـيش طـويلاً

بسبب ظروف الحياة المتقدمة والعناية الصحية الحديثة. ويعتقد البعض أنه سيمكن للناس في المستقبل القريب أن يحيوا حتى سن ١٢٠ مجددًا.

على الرغم من وجود عوامل كثيرة تساهم في تحديد العمر النهائي لكل فرد، إلا أنه من الممكن أن نقبل مبدأ، وهو أن الله يريد أن يمنحنا العدد الأمثل من السنوات على الأرض.

بعد كل ما ذكرته أود أن أقول شيئًا يلخص الأمر كله، وإن كنتُ أقوله بحذر: فبينما نضع نصب أعيننا أن الله هو مانح الحياة وسلطانه على الموت كذلك، تظل هناك عوامل مختلفة قد تؤثر على تاريخ وفاتك.. عوامل سنتطرق إليها فيما يلي. وأهم شيء في الحياة ليس هو السن الذي نموت فيه، بل قبولنا للرب مخلصًا لنا وإتمام قصده وخطته لحياتنا.

جون نيوتن (١٧٢٥-١٨٠٧) كان تاجر عبيد قاسٍ تغير قلبه تمامًا في وسط المحيط، على متن سفينة ممتلئة بالعبيد من أفريقيا. وبدون تأخير جعلهم يرجعون بالسفينة، ويرجعون العبيد إلى أوطانهم. صار نيوتن تابعًا مخلصًا للرب، وعبر علانية عن معارضته لتجارة العبيد.

الله كلِّي المعرفة

بينما أود أن أكرر أن هذا ما هو إلا محاولة مني لتوضيح غموض الموت بعض الشيء، إلا أن هناك أمرًا واضحًا وضوح النهار: الله كلِّي المعرفة. ليس هناك من شيء لا يعلمه.. وهذا يتضمن المستقبل. لا شيء يحدث الآن أو في المستقبل يفاجئه. وباعتباره الألف والياء، البداية والنهاية، فالمستقبل واضح له كالأمس. وهذا يبين أنه يعرف مقدمًا ماذا ومتى سيحدث كل شيء في حياة كل منا، وكذلك متى وكيف سنلاقي حتفنا.

أدرك أن هذا سيثير الكثير من الأسئلة الصعبة، مثلاً: إن كان الله يعرف كل شيء مقدمًا، فلماذا يسمح بأمور معينة؟ لماذا يترك الأبرياء يموتون؟

وكان نيوتن هو الرجل الذي ألهم ويليام ويلبرفورس، الذي صار فيما بعد المسئول عن إبطال العبودية في بريطانيا ومستعمراتها. بعد تغييره الجذري، كتب جون نيوتن الترنيمة التي يذكره الكثيرون بسببها، والتي قد تكون من أكثر الترانيم الروحية شهرة: "يا لتلك النعمة المذهلة، يا لهذا الصوت الحلو الذي أنقذ بائسًا مثلي..." حين أدرك أن نهايته أوشكت، أضاف: "لا زلتُ في أرض الأموات، قريبًا سأكون في أرض الأحياء".

يجب علينا أن نقبل عدم وجود إجابات متاحة لكل أسئلتنا. كمؤمن يمكنني وينبغي عليَّ أن أقبل أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله (رومية ٨: ٢٨).

وفي الواقع، هناك الكثير من الأشياء تحدث في هذا العالم وهي ليست إرادة الله –على الرغم من معرفته أنها ستحدث. فمثلاً، ليست إرادة الله أن يهلك أحد (٢ بطرس ٣: ٩) ولكنه يعلم أن معظم الناس لن تخلُص (لوقا ١٣: ٢٣ و٢٤).

ولنفس هذا السبب لا يأتي موت أي فرد كمفاجأة لله، لكن هذا لا يعني أنه هو مَنْ يضع الحد في كل مرة أو أن الجميع يموتون في الموعد الذي حدده مسبقًا. أدرك جيدًا أننا بفهمنا البشري المحدود كثيرًا ما نمر بفترات حيرة وتأرجح غير محسوم بين إيماننا في حماية الله من جانب، ومن جانب آخر النقائص والأحزان التي أحيانًا ما تكون جزءًا في رحلتنا عبر الحياة.

بعد أن قلتُ كل هذا، أشعر أن بإمكان المؤمنين أن يتمسكوا على الأقل بواقع أن حياتهم هي بين يدي الرب أو كما يصوغها داود:

" **فِي يَدِكَ آجَالِي**" (مزمور ٣١: ١٥).

مَنْ يضع الحد ؟

يخبرنا سفر الجامعة ٣: ٢ أن

"لِلْوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ".

هل يمكن لهذه الآية أن تشير إلى كون الله حدد مسبقًا وقت وفاة كل منا، أم تذكر ببساطة أن الجميع سيموتون إن عاجلاً أم آجلاً؟ أعتقد أن السبب الأخير هو الصواب. فهناك العديد من الأمثلة في الكتاب المقدس عن أناس قصَّروا حياتهم بأنفسهم. إذ نقرأ في الجامعة:

"لاَ تَكُنْ شِرِّيرًا كَثِيرًا، وَلاَ تَكُنْ جَاهِلاً.

لِمَاذَا تَمُوتُ فِي غَيْرِ وَقْتِكَ؟" (جامعة ٧: ١٧).

إنـي أتفق مع الـرأي القائل أن كثيريـن يضعون الحد لحياتهم بنفسهم، فيموتون قبل الأوان.. قبل الوقت الذي يراه الله لهم. ومن ناحية أخرى، يبدو أن هناك ما يمكننا عمله كي نحيا أطول. دعنا نتأمل بعض العوامل والأسباب التي قد تؤثر على عمر المرء. إن لنا دورًا كبيرًا في هذا الصدد. فإذا أردت أن أبلغ العمر الأمثل الذي يراه الله لحياتي، فأقل ما يمكنني عمله هو الحياة بسلوك يتبع مبادئ ووصايا كلمة الله.

هناك بعض الوعود في الكتاب المقدس تؤكد لنا أن حياتنا على الأرض قد تمتد إذا اهتممنا بكلمته. نجد مثل هذا الوعد في أمثال ٣: ١ و٢،

"يَا ابْنِي، لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي، بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. فَإِنَّهَا تَزِيدُكَ طُولَ أَيَّامٍ، وَسِنِي حَيَاةٍ وَسَلاَمَةً".

كما نجد في أمثال ٤: ١٠،

"اِسْمَعْ يَا ابْنِي وَاقْبَلْ أَقْوَالِي، فَتَكْثُرَ سِنُو حَيَاتِكَ".

وفكر في وصية الله في (خروج ٢٠: ١٢) ،

"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ".

ويخبرنا في مزمور ٩١: ١٦ أنه إذا أحببنا الرب حقًا:

"مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلاَصِي".

نجد في أمثال ١٠: ٢٧،

"مَخَافَةُ الرَّبِّ تَزِيدُ الأَيَّامَ، أَمَّا سِنُو الأَشْرَارِ فَتُقْصَرُ".

نصيحة لحياة أطول

هناك أيضًا الحالة الاستثنائية للملك حزقيا الذي كان حد حياته قد وُضع. أرسل له الرب الرسالة التالية مع إشعياء النبي:

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ" (٢ ملوك ٢٠: ١).

لكن حزقيا تذلل أمام الرب وصلى:

"آهِ يَا رَبُّ، اذْكُرْ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ، وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيمًا" (ع ٣).

قبل أن يغادر إشعياء القصر، جاءته كلمة الله مجددًا وأرجعته:

"ارْجعْ وَقُلْ لِحَزَقِيَّا رَئِيسِ شَعْبِي: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ. قَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَكَ. هأَنَذَا أَشْفِيكَ. وَأَزِيدُ عَلَى أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً" (ع ٥ و٦)

لا تقترح الآيات السابقة بالضرورة أنه كان هناك موعد محدد مسبق للموت، لكنها تقترح أن بإمكانك إطالة عمرك بالإصغاء لكلمة الله والعمل بها. حتى بطرس الرسول اقتبس قول داود حين قدم النصيحة لمَنْ يريدون أن يحيوا حياة مديدة:

"مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ،

لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ" (١ بطرس ٣: ١٠ و١١).

يمكنك أن تقصِّر عمرك

للأسف يمكن لهذا الموقف أن يُعكَس. إذ يمكننا أن نقلِّل العمر "الأمثل" الذي قصده الله لنا. وهذا لا هروب منه إذا كنتُ لا أحترم جسدي وأعامله على أنه هيكل الرب. أنصت لكلمات بولس في ١ كورنثوس ٦: ١٩ و٢٠،

"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ".

إذا تجاهلتُ هذا المبدأ، قد أقصِّر حياتي بالحياة المستهترة وعادات الطعام غير الصحية وتناول الخمر بإفراط. كذلك من المعروف أن مدمني المخدرات لا يعيشون طويلاً. وقليلة هي الأشياء التي تقصِّر عمر الإنسان كعادة التدخين. فكل سيجارة تدخنها قد تقصِّر عمرك بمعدل ثلاث إلى خمس دقائق. وحين تبلغ آخرِ خمس دقائق قبل موتك، تعني السيجارة الواحدة حرفيًا الفرق بين الحياة والموت.

في الواقع، إن تجاهل أي من قيم الكتاب المقدس سوف يضرك. فأسلوب الحياة الخاطئ له ثمنه. فكر فقط في الفسوق الجنسي... هل كان من الممكن للأمراض الجنسية، خاصة الإيدز، أن تبلغ هذه الدرجة الوبائية لو التزم الناس بالوصايا الكتابية عن الجنس ومارسوه فقط في إطار الزواج؟

هناك أيضًا العوامل الروحية والنفسية، والتي يمكنها أن تقصِّر حياتنا. فالمشاعر غير النقية والسلبية مثل الكراهية، وعدم الرغبة في المغفرة، والمرارة، والخوف، والإجهاد الزائد.. كلها أمور تؤثر على صحتنا وأخيرًا على نوعية حياتنا وطول عمرنا.

إن الكثير من هذه الأمراض السيكوسوماتية* ينشأ في العلاقات المضطربة فقط. إن أمكن للبشر أن يحافظوا على علاقات صحية مع بعضهم البعض (ومع الله كذلك)،

بون سكوت، العضو بفريق الروك AC/DC غنى في أحد أغنياته عام ١٩٧٩: "لا توقفوني، إني نازل كل الطريق، نازل بالطريق السريع إلى الجحيم". وفي ١٩ فبراير ١٩٨٠ وجدوه ميتًا، مختنقًا في قيئه".

* أمراض جسدية تظهر بسبب عوامل نفسية

فسوف يحيا الكثيرون حياة أطول وأكثر صحة.

عند النظر للأمر من هذه الزاوية نجد أن كثيرين يضعون الحد لحياتهم بنفسهم. قد يكون الأمر متطرفًا بانتحار أحدهم. أو يكون قيادة أحدهم لسيارته وهو مخمور، وموته في حادث سيارة. قد يكون هذا نتيجة أسلوب حياة مستهتر. تُرى كيف يمكن ذِكر الله أو لومه عند قبر شخص كهذا؟

يمنحنا الكتاب المقدس أمثلة واضحة عن أشخاص قصَّروا حياتهم. سوف أذكر بعض هؤلاء. يخبرنا مزمور ٥٥: ٢٤ بصورة أكيدة عن مصير المَجرمين القساة:

"رِجَالُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ (يعيشون نصف) أَيَّامَهُمْ".

وبالفعل، قليلون هم المجرمون الذين يرتكبون جرائم قاسية ويموتون مسنين.

يمنحنا الكتاب المقدس أمثلة عديدة لأشخاص جلبوا دينونة على أنفسهم وماتوا قبل الأوان بسبب الخطية أو عصيان الله. هناك مثلاً الناس في زمن نوح (تكوين ٧: ٢١)، زوجة لوط (تكوين ١٩: ٢٦)، قورح وعائلته (عدد ١٦: ٣٢)، شمشون (قضاة ١٦: ٣٠)، وبيلشاصر الملك (دانيال ٥: ٣٠).

يخبرنا العهد الجديد عن موت هيرودس الملك الذي أمر بقتل يعقوب الرسول. فبعد فترة وجيزة جلس على كرسيه وقَبِل مديحًا من الناس يحق لله وحده. فجاءت نتيجة ذلك فورًا:

"فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ للهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ" (أعمال ١٢: ٢٣).

ويحذر بولس الناس الذين يشتركون في التناول عن غير استحقاق ولا يميزون جسد الرب، فيأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم قد ينتج عنها مرض أو حتى موت سابق لأوانه:

"مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ" (١ كورنثوس ١١: ٣٠).

كازوزا، ملحن ومغني وشاعر اعترف أنه ثنائي الجنس. هذا نفخ دخان سيجارته في الهواء أثناء عرض في ريو دي جانيرو وقال بسخرية: "هذه لكَ يارب" ثم مات في سن الثانية والثلاثين بعد معاناة شديدة مع إصابته بالإيدز.

كذلك يحذر يوحنا الرسول أن هناك خطية للموت. وهي تختلف عن الخطية التي لا تُغفر (متى ١٢: ٣١)، لكنها تشير إلى

خطية يمكن ربطها مباشرة بموت الفرد (١ يوحنا ٥: ١٦). ويُعد مصير هيرودس الملك السابق ذكره هو مثال جيد لهذا. أما الخطية التي لا تُغفر فهي التجديف على الروح، وذلك حين يعزو البشر عمل الروح القدس للشيطان.

حين يضع آخرون الحد

حين نتكلم عن الأشخاص الذين وضعوا الحد لحياتهم بأنفسهم، علينا ألا ننسى الكثيرين الذين وُضِع الحد لحياتهم على أيدي آخرين. فكر بالاحتمالات التالية:

الأجنة

إن الأم التي تدخن أثناء حملها تجبر جنينها على استقبال هذه السموم مع الدم من خلال الحبل السري. هناك براهين عديدة على أن مثل هذا الطفل لا يصير في نفس مستوى أقرانه في العديد من مجالات الحياة، وربما لا يبلغ قط ما قصد له الله أن يكونه، وقد يزيد مرضه ويحظى بعمر قصير.

ينطبق المثل على الأمهات اللاتي يعاقرن الخمر والمخدرات أثناء حملهن. وعادة ما تكون عواقب هذا أسوأ. مَنْ يضع الحد في هذه الحالات؟ فكر في الزوج الزاني الذي

أصيب بفيروس الإيدز، ونقله لزوجته التي نقلته لجنينها. مَنْ يضع الحد هنا؟

وماذا عن الإجهاض؟ تجري على الأقل ٥٥ ألف عملية إجهاض قانونية سنويًا في جنوب أفريقيا وحدها، وملايين بباقي العالم. إن الإجهاض هو قتل متعمد، وهو ضد إرادة الله. هؤلاء الأطفال يوضع الحد لحياتهم قبل أن يُولدوا.. وليس هذا من عمل الله.

حوادث الطرق

أحيانًا يسكر أحدهم بالخمر، ثم يجلس خلف عجلة القيادة في سيارته. ويتسبب في حادث يموت فيه أناس أبرياء. هل يجب أن يُلام الله على هذا؟

متوسط مَنْ يموتون سنويًا على الطرق في جنوب أفريقيا هو ١٥ ألف شخص. وكثيرًا جدًا لا تكون هذه مجرد "حوادث". ففي معظم الأحوال تكون نتيجة لاستهتار أحدهم وعدم إحساسه بالمسئولية، أو بسبب الخمر. إن البشر ليسوا حيوانات تتصرف بلا عقل. بل البشر كائنات أخلاقية، لهم إرادة وحس بالمسئولية.. لكن للأسف يمكنهم أن يختاروا عمل أشياء تتعارض مباشرة مع إرادة الله.

كيف يمكن أن نضع الله في قفص الاتهام بسبب الضعف والحزن والموت الذين هم نتيجة لحماقة وشر وعدم مسئولية البعض؟

الحروب والجرائم والكوارث

فكر في ملايين الأبرياء الذين ماتوا في الحروب على مر العصور، وحتى الآن من خلال التفجيرات الإرهابية. وهناك حوالي ٢٠ ألف شخص يروحون سنويًا ضحايا للقتل في جنوب أفريقيا وحدها.. أيجب أن يُلام الله على هذا؟

قامت البشرية في العقود القليلة الماضية، وسط التقدم الصناعي، بالإخلال بالتوازن البيئي الدقيق الذي وضعه الله لخليقته. وتسبب هذا في ظروف جوية غريبة، وكوارث طبيعية تخلِّف وراءها الدمار عند ظهورها وتضيِّع حياة الكثيرين. تصف شركات التأمين هذا على أنه من "عمل الله". لكن هل يجب حقًا أن يتلقى الله اللوم عن هذا؟ أهو خطأه؟

يمكننا كذلك أن نتأمل مئات الأمثلة لوفيات سابقة للأوان نتجت عن آثام آخرين أو استهتارهم أو شرهم. لكن عادة ما يتلقى الله اللوم، حتى أنه كثيرًا ما يُصور على أنه قاتل أطفال. كثيرًا ما يوجه الناس إصبع الاتهام إلى الله عن

وفيات كثيرة، في حين نكون نحن المسئولين عن معظمها. إنه لأمر مخجل أن نضع الله في قفص الاتهام عن موت البعض، في حين أن موتهم هو نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لقرارات وسلوك البشر وطرقهم الشريرة.

ماتوا.. لأنهم أتقياء ؟

من الجدير بالذكر أيضًا أن هناك مَنْ يموتون قبل الأوان، ليس لأنهم أخطئوا أو كانوا فاسدين، لكن لأنهم أتقياء وفعلوا الصلاح. خذ عندك مثلاً هابيل، يوحنا المعمدان، استفانوس، ويسوع نفسه. وهناك أيضًا ملايين الشهداء على مر العصور ممَنْ ماتوا لأجل إيمانهم والشهادة عن يسوع. وهناك أيضًا عمال الإنقاذ ورجال المطافئ والشرطة الذين ماتوا في خدمة عملهم.

أين الله في هذه الصورة ، وأين الشيطان ؟

في الأمثلة الكتابية العديدة التي ذكرتها سابقًا، كان الأمر معنيًا بأناس وضعوا حدًا مبكرًا لحياتهم أو حياة آخرين.. وهناك مَنْ طالت حياتهم. والسؤال الذي يُطرح الآن: أين الله في هذه الصورة، وأين الشيطان؟

أولاً، دعني أوضح مجددًا أن الله ليس بقاتل. بل طبيعة الله وكيانه هو منح الحياة:

"السَّارِقُ (إبليس) لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا ١٠: ١٠).

والموت حقًا عدو الله:

"آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ" (١ كورنثوس ١٥: ٢٦).

هل الله ممسك بزمام الأمور؟

باعتباره الخالق العلي، فالله يملك بالفعل سلطانًا على الحياة والموت. وهذا يعني أن الله لديه القدرة على منح الحياة وأخذها. من الآيات الهامة في هذا الصدد نجدها في لوقا١٢: ٤ و٥،

"وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ، لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هذَا خَافُوا!"

ماذا نستدل من هذه الفقرة؟ كثيرون يعتقدون أن الشيطان هو مَنْ يلقي الناس في الجحيم – الذي يدعوه الكتاب المقدس كذلك الموت الثاني (رؤيا ٢٠: ١٤). لكن في هذه الفقرة،

يخبرنا لوقا بوضوح أن هذا ليس صحيحًا. على العكس، فإبليس نفسه يخشى الجحيم، إذ يعلم جيدًا أنه مصيره النهائي (رؤيا ٢٠: ١٠). يمكن لإبليس أن يقتل الجسد وحسب. لكن الله هو مَنْ له سلطان إلقاء الناس في الجحيم.. أولئك الذين رفضوه.

تخبرنا كذلك هذه الفقرة بوضوح أن الله أيضًا بوسعه قتل الجسد. وبالفعل هناك أمثلة عديدة في الكتاب المقدس أمر فيها الله بموت الكثيرين من شعب إسرائيل ومن أعدائهم، هناك مثلاً الضربة العاشرة في مصر حيث قُتل كل الأبكار. وتشير رسالة كورنثوس الأولى ١٠: ٧- ١٠ إلى آلاف ماتوا في إسرائيل نتيجة خطاياهم.

هناك عشرات الفقرات في العهد القديم التي تشير إلى دينونة الله لشعبه، والتي أدت إلى موت الكثيرين.

حين تقرأ سفر الرؤيا، يتضح أن أوبئة عظيمة ودينونة الله ستحل على البشرية في الأيام الأخيرة، وسيموت الكثيرون. نعم، يمكن لله أن يتسبب في الموت، لكنه عادة ما يكون جزءًا من عقابه لأناس عصوه واحتقروا نعمته ومحبته.

علينا أن ندرك جيدًا أن إرادة الله هي خلاص كل الخطاة، وليس قتلهم. أنصت لكلماته الاستثنائية في حزقيال ٣٣: ١١،

"إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. اِرْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ! فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟"

هكذا فإن القول بأن الله يجب أن يتحمل مسئولية موت الأبرياء، وخاصة الأطفال، يأتي بنا إلى موقف لاهوتي لا يمكن لهذا الكاتب أن يبرره أو يدافع عنه.

كذلك نحتاج إلى الاحتراس حين نحاول تعزية أحدهم، خاصة مَنْ مات طفله، بقولنا شيء مثل: "لقد اختار الله لنفسه أجمل زهرة هنا ليغرسها في حديقته في السماء". قد يكون لله حديقة في السماء، لكنها لن تتكون من أطفال أبرياء تم انتزاعهم من أحضان ذويهم قبل الأوان. على الرغم من أنك تقصد خيرًا، إلا أن هذه تعزية سطحية ورخيصة. وإذا أراد أحدهم أن يتبعها إلى حد السخافة، فيمكنه أن يقول أن كل مَنْ يقومون بعمليات إجهاض، هم في الواقع يساعدون الله على ملء حديقته بالزهور...

لا، وألف لا ! فالله ليس بقاتل. لقد قال يسوع بالتحديد عن إبليس:

"ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ..." (يوحنا ٨: ٤٤).

وعلى العكس من هذا تمامًا نجد أحد المظاهر الأساسية لسماء الله، حيث سيذهب كل مَنْ يقبلون يسوع يومًا ما:

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا ٢١: ٤).

قد يسأل أحدهم: لكن أليس الله قديرًا؟ ألا يمكنه أن يحول دون موت الأبرياء؟ لا شك أن هناك أوقاتًا يحول فيها الله دون وقوع كارثة أو حادثة مميتة ليحمي أبناءه. لكن هناك حالات أخرى نتساءل فيها لماذا لم يتدخل الله. نعم، الله عليٌّ وقدير، لكنه ليس العامل الوحيد المؤثر في هذا العالم. فهناك كائنات أخرى بالعالم: إبليس، وأتباعه، والبشرية ذاتها.. هؤلاء يتخذون قرارات تتعارض مع إرادة الله الصالحة الكاملة.

بيلي براي، عاش منذ قرن، وكان عاملاً بالمناجم مستهترًا ثم تحول بصورة جذرية وصار كارزًا ربح الكثير من النفوس للمسيح. كان مطمئنًا على فراش موته. وكانت كلمته الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه هي "مجد".

وللأسف لديهم القدرة على معارضة إرادة الله المحبة في حياة الناس. وفي الواقع، كثيرًا ما لا تجري إرادة الله الكاملة هنا على الأرض!

على الرغم من هذا لا يعني الموت أن الله ليس ممسكًا بزمام الأمور. نحتاج أن نتذكر الصورة الأكبر لله، والتي لا يُعد فيها موت أبنائه هزيمةً أو نهاية.. لكنه فقط البوابة للحياة الأبدية الكاملة معه. في الواقع، إن الموت هو البوابة الوحيدة للسماء والله. حتى المجيء الثاني.

أوغسطس توبلادي كان مؤلف الترنيمة المعروفة "صخر الدهور". حين وافته لحظة الموت، كان الصخرة كافيًا له. قبل موته بساعة استيقظ بعد غفوة قائلاً: "يا له من مجد! مَنْ يمكنه أن يستوعب فرح السماء؟ إني محاط بأشعة شمس مشرقة! ليس لديَّ كلمات أصف بها. أعلم أنه لن يطول الأمر حتى يأخذني فاديَّ. كل شيء هو نور، نور، نور.. البريق المبهر لمجد الله! تعال يا ربي يسوع، تعال سريعًا".

حين ترى هذه الصورة الأكبر، ستدرك أن موت المؤمن هو فعليًا الهزيمة الأخيرة لإبليس في حياته. إذ لن يتمكن مجددًا من غواية المؤمن وجعله يخطئ، ولن يتمكن

مجددًا من أن يخلِّف وراءه أثرًا من وجع القلب والحزن والألم والدموعٍ. وبهذا يكون المؤمن بعيدًا عن متناوله للأبد!

أود أن ألخص الرد على سؤال: "مَنْ يقتل ومَنْ يحدد موعد الموت؟" مع الفهم والنور في صفي، لا يمكنني أن أقول أن الله يضع الحد في حياة الجميع. وعلى الرغم من ذلك، فالله في معرفته الكلية يعلم متى سنموت من قبل أن نُولد. وفي محبته يريد أن يحظى كل واحد في شعبه بحياة كاملة. لكننا لم نعد في الجنة، ولسنا في السماء بعد. إنما نحن جزء من عالم معطوب وشرير، بفضل إبليس والخطية.

نعم، يمكن للناس أن يضعوا الحد لحياتهم بأنفسهم. ويمكن للناس أن يضعوا الحد لحياة آخرين. يمكن للناس أن يعارضوا إرادة الله. والله لن يتعدى على حرية أي شخص في الاختيار. حتى إن كانت الاختيارات خاطئة وضد إرادته. وإبليس نفسه هو وراء كل ميتة، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إذ في النهاية يُعد الموت عدو لله. وفي النهاية، لم يكن الموت ليوجد ولا كان أي شيء ناقص ليوجد في هذا العالم لو لم يدخله إبليس وفي إثره الخطية.

الواقع الأعظم

لودويج فان بيتهوفن الملحن الشهير، كان أصمًا كما يعرف الجميع. قبل أن يموت قال باقتناع: "سأتمكن من السمع في السماء".

من الغامض أن يموت الناس قبل الأوان. ومن الغامض ألا يحول الله (دومًا) دون حدوث هذا. لكن هذا لا يعني أنه يقف مكتوف اليدين.. خاصة عند موت أبنائه. فهو قادر على إبطال الموت، وقد أثبت هذا حين لم يدع أخنوخ وإيليا يريان الموت. لكن موت الجسد هو النتيجة الأخيرة للخطية، وهو جزء من عالمنا المعطوب هذا. وهذا الطريق الذي يجب أن يسلكه الجميع – حتى المؤمنين.

لكن هناك واقعًا أعظم لأبناء الله: موت الجسد ليس النهاية، بل هو البوابة للحياة الأبدية مع الله. فيسوع ذاته قد قال عند موت حبيبه لعازر:

"أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنا ١١: ٢٥).

نحن نعلم أن لا شيء – ولا حتى الموت – يمكن أن يفصلنا عن محبة الله (رومية ٨: ٣٨). يمكننا أن نطمئن، برغم الأسئلة الغير مُجابة، أن الله يملك على الموت؛ ولهذا

لا ينبغي لأبنائه أن يخشوا الموت. تحضرني كلمات الواعظ المعروف دي إل مودي أثناء احتضاره. قال لابنه ويل مودي: "ويل... هل هذا هو الموت؟ الأرض تفسح مكانًا والسماء تقترب!"

مارتن لوثر، المصلح العظيم بالكنيسة في النصف الأول من القرن السادس عشر، وهو بالتأكيد من أشهر الناس في تاريخ الكنيسة. عند نهاية حياته صلى: "يا أبي، بين يديك أستودع روحي، لأنك خلصتني.. أنت إله الحق!".

في الوقت الحالي، وبينما نحن هنا على الأرض، علينا أن ندرك جيدًا أن الحياة غالية، لكنها مؤقتة وقصيرة. لقد تلقينا جسدًا واحدًا لنحيا فيه. وأكثر الأمور حكمة هي التسليم الكامل.. أن تضع نفسك بالكامل، جسدًا ونفسًا وروحًا، بين عناية الله المُحبة.

كما يقول بولس في رومية١٢:١ أن علينا أن نقدِّم أجسادنا **"ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ".**

علينا أن ندرك أن أجسادنا هي هيكل الرب، وأنه يحذرنا: إن أفسدنا هذا الهيكل، فسوف يفسدنا (١ كورنثوس ٣: ١٦ و١٧) ولهذا السبب علينا أن نعتني بأنفسنا، ونحترس في كيفية معيشتنا. فليس من المسئولية أن نكون مهملين فيما

يخص حياتنا وصحتنا ونقدم أعذارًا لهذا كمثل: "نحن نموت مرة واحدة وحسب".

تذكر.. سيكون هناك آخِر خمس دقائق قبل الموت لكل منا. وعن نفسي، أفضل أن أقف أمام الله عندئذ دون أن أكون مذنبًا بوضع الحد بنفسي، أو بتقصير الحياة التي منحني الله إياها على الأرض.

لتكن مشيئته.. في موتي كذلك.

الفصل الثامن

تراثك

"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ."

(يوحنا ٣: ١٦)

أعرف الكثير من الناس -من العائلة والأصدقاء المقربين- ممن فقدوا أحد أحبائهم بالموت. وبعضهم تحدث معي حتى من عند باب الموت. أود أن أشير إلى ثلاثة من هؤلاء بمنتهى الحساسية والتعاطف لأوضح مدى قيمة أن يدرك الأقارب: حبيبنا كان مستعدًا لملاقاة الرب.

العم بيتر دي جاجر، والمعروف بالعم بيتجي، كان في حياته أشهر شخص في قرية ويتساند للصيد والاستجمام في جنوب كيب. عرفته وزوجته، العمة جاسي، لسنوات عديدة. كان أشهر صياد في ويتساند، ولم يكن هناك مَنْ يطهو مثل العمة جاسي. وكانا متزوجين لمدة ٦٠ عام.

إلا أن سمعته كصياد ماهر لم تكن هي سبب شهرة العم

بيتجي، ولا كانت سر محبة الجميع له، وحضور الكثيـرين لجنازته. بل كان السبب هو نوع المؤمن الذي كانه.

كان من أتباع المدرسة القديمة. لـم يقبـل بالتنـازلات والحلول الوسط في حياته. لعل الكثيرين الآن قد يعتبرونـه متزمتًا وعتيق الطراز. كان عطوفًا وودودًا، لكنه لم يكن قط سطحيًا. اضطر إلى ترك المدرسة بعد إنهاء الصف الرابـع الابتدائي، لكن قليلين عرفوا الكتاب المقدس كما عرفه هـو. كان قد قَبِلَ الخلاص في سن الرابعة والثلاثين بعد أن صلى له أحدهم وجرت معجزة عظيمة.. إذ نهض من على مقعـد متحرك. ومنذ ذلك الحين وحياته مثال حي على محبتـه لله وإخلاصه تجاهه.

كان شغفه الأعظم حتى وفاته هو ربح النفـوس للـرب. فشهد عن إيمانه في كل مناسبة. وألهمت حياتـه وشـهادته المئات ليصيروا أتباعًا للمسيح. كذلك كـان مـسئولاً عـن تأسيس بعض الكنائس في منطقته. منـذ قبولـه الخـلاص والطريق الذي سلكه مستقيم كالسهم. وكان يحيا ما يعظ به.

مات العم بيتجي في سن الثامنة والثمانين. وكانت صحته جيدة حتى جاءت آخرِ عشرين دقيقة قبل موته الـذي جـاء فجأة وبدون ألم.

أود أن أخبرك عن هذه الدقائق الأخيرة والتراث الذي تركه خلفه. كان في هذا اليوم بالتحديد مع زوجته في كنيسة في ووسيستر لحضور جنازة امرأة كان قد قادها للرب قبلها بسنوات. كان القس مشغولاً بالوعظ حين لمس العم بيتجي ذراع العمة جاسي قائلاً: "عزيزتي، أشعر بالغثيان". أدركت فورًا أن الأمر خطير. أخذوه للخارج، ثم صار واضحًا أنه يجب نقله إلى مستشفى في أسرع وقت ممكن. ولم تمر ١٥ دقيقة منذ شعر بالغثيان في الكنيسة حتى كان يرقد على فراش المستشفى الصغير.

نظر إلى زوجته وقال: "أود أن أذهب للبيت". فأجابته: "عزيزي، ويتساند على بعد تسعين ميل من هنا". لم تكن تعلم أن آخِر خمس دقائق له على الأرض قد حانت. أجاب، وكانت هذه كلماته الأخيرة: "عزيزتي، إني لا أتحدث عن ذلك المنزل". وبعض لحظات مات. أليس من الرائع أن يتمكن المؤمنون من الإيمان ببيت على "الجانب الآخر"؟

تشرفتُ جدًا حين دُعيتُ للذهاب إلى هايدلبرج في مدينة كيب لتأدية صلاة الجناز في كنيسة DR هناك. وكان طلب العمة جاسي محددًا: "سوف يحضر الجنازة بعض من أفراد العائلة والأصدقاء ممَنْ لم يسووا أمورهم مع الرب بعد.

لكان العم بيتجي ليرغب أن يربح النفوس لله حتى في مماته. لذا هلا تفضلت ووعظت برسالتك عن أول خمس دقائق بعد الموت، ودعوة الناس لتقديم حياتهم للرب؟" وهذا ما فعلتـــه. كثيرون قالوا: "نعم" في ذلك اليوم لمَنْ دفع بالكامــل ثمــن خطاياهم.

وفي الجنازة أخبرني عدد لا يُحصى من الناس وعيونهم مغرورقة بالدموع كيف اقتادهم العم بيتجي للرب. وأخبرني البعض أنهم نالوا شفاءً بعد أن صلى لأجلهم، حتى حين فقد الأطباء الأمل في حالتهم. كما حضر طبيب أيضًا كان يُحيل المرضى للعم بيتجي كحل أخير.

كذلك من الجدير بالذكر أنه حضر الكثيــر مــن الــسود ورنموا عند قبره. أخبرني بعضهم وعيونهم دامعـــة كيــف وجدوا طريقهم للرب بسبب شهادته.

تأثرت للغاية بكلمات إحدى حفيداته، وهي شابة عاملــة ناجحة: "أعلم أن الروح القدس هــو مَــنْ يرشــدني لعمــل الصواب. لكن كثيرًا حين تواجهني التجارب والإغــراءات، أرى جدي أمامي وأفكر في القيم التي علمنا إياها، وأتمنــى ألا أخذله".

يا لها من ذكرى! يا له من تراث! منذ ذلك الحين تحدثت كثيرًا مع العمة جاسي، وقابلتها مجددًا. بالطبع تفتقده للغاية، فستون عامًا معًا لهو وقت طويل. لكن في كل مرة نتحدث، تتضح المعرفة والتوقع الرائعين.. فهي تعلم أين هو، وتعلم أنها ستراه مجددًا قريبًا.

بلا ندم، وبلا شك.. كانت حياته مكرسة ليسوع المسيح لدرجة لم يشك معها أحد أين سيكون مصير العم بيتجي. واليوم تحدثت مع العمة جاسي مجددًا. وسط أشياء أخرى، قالت لي: "كم أفتقده.. ابن الله الغالي هذا!" يا له من تراث. ويا له من امتياز أن نعلم أنه سيكون هناك لم شمل.

قد يسخر بعض الشكاكين ومَنْ يحاولون إقناع أنفسهم والآخرين أن الله والحياة بعد الموت هو اعتقاد مبني على التمني، وقد يصورون الأمر على أنه "عاطفية مبالغ بها".. دعهم، ربما سيختلف رأيهم حين تبدأ شمس حياتهم في الغروب وتبدأ تُلقي ظلالاً طويلة. أود أن أسأل مثل هذا الشخص: بماذا سيتمسك أحباؤك بعدما تموت؟ ما التراث الذي ستتركه لهم؟ إلى أين ينبغي للناس أن يذهبوا بعد موتك ليروك مجددًا؟ هل تود أن يحتذوا بخطواتك؟

قابلت العم جان هينينج في سنتي الأولى بالخدمة. كان عضوًا معروفًا في كنيستنا الجديدة. كان من أفضل الأمثلة التي رأيتها في حياتي لشخص يحيا فعلاً بخصائص أتباع المسيح. عرفته لحوالي أربعة عقود، وخلال كل هذه السنوات سار بشجاعة في طريق الناصري. كنت أراه دومًا على أنه من أفضل الأمثلة لما يجب لحياة المؤمن الحقيقي أن تكون عليه.

ثم أصابه السرطان.. سرطان بالمخ وانتشر في أحشائه كذلك. تم علاجه بالأشعة لبعض الوقت مما سيطر على انتشار السرطان بعض الشيء، لكن دمر نوعية حياته. تدهور حاله للغاية في فترة قصيرة. وتضرر نظره وقدرته على الكلام للغاية. كذلك تضرر عموده الفقري بسبب السرطان، وشُلَّ من أسفل الخصر وصار طريح الفراش.

قمت بزيارته عدة مرات في شهور حياته الأخيرة. كان يعاني للغاية، وكان من المحزن رؤيته في هذه الحالة السيئة. حين زرته لأول مرة، كنت أعلم أن جسده قد تدهور للغاية، ولم أعلم ماذا أتوقع أو ماذا أقول.

لكن يا لها من خبرة! فعلى الرغم من معاناته وآلامه، لم تخرج من فمه كلمة لوم واحدة، ولم يشكك في الله قط. بل

كانت محبته وتقديره لله صادقين من القلب. كان يجد الكلام صعبًا، وأحيانًا لم يمكن سماع كلامه واضحًا، لكن كان من الواضح أن زوجتي وأنا لسنا مَنْ نعزيه. لم أتمكن من تمالك دموعي أمام امتياز اختبار الذهب النقي للسلام والفرح الأصليين بشخص كان فعليًا يواجه الموت. وإلى جوار فراشه أدركتُ مجددًا: هناك اختلاف في الطريقة التي يموت بها المؤمن، وأن الإيمان بيسوع المسيح هو أكثر من مجرد اعتقاد مبني على التمني أو تعليم أو قواعد أو قصص. فحين تكون في مكان جان هينينج، لن يمكنك الإدعاء.

خلال زيارتي الأخيرة، قبل موته بيوم أو اثنين، أخبرني أنه رأى الطبيب منذ عدة أيام. اقترح عليه الطبيب علاجًا مكثفًا قد يطيل حياته لمدة شهر أو اثنين. لن أنسى قط الوقت الذي أخبرني فيه، بمشاعر نقية وحديث ضعيف، بما قاله للطبيب: "يا دكتور، لقد اقتربت من النهاية، ويمكنني أن أرى بالفعل منصة توزيع الجوائز. يمكنني أن أسمع صوت مَنْ بالطريق يشجعونني 'لا تيأس.. كاد الأمر أن ينتهي'. أشكرك لأجل محاولتك المساعدة، لكنك تريد أن تُطيل الطريق عليَّ. تريد أن تضع عائقًا آخر في طريقي قبل أن

أقطع خط النهاية. أشكرك يا دكتور، لكن لا تحاول أن تُطيل سباقي. فأنا أود أن أكمله!"

حقًا كان امتيازًا أن أدفن شخصًا كهذا مع التيقن أني سأراه مجددًا يومًا ما.

إذا شككتَ بعض الشيء فيما كُتب بالأعلى وتفضل أن تصرفه باعتباره "عاطفية مبالغ فيها"، أود أن أسألك: ما الذكريات التي ستتركها لأحبائك؟

ماريسكا كانت ابنة أخت زوجتي. كانت طالبة جميلة في التاسعة عشر من عمرها. كانت قد قبلتْ الرب مخلِّصًا لها في بداية حياتها، وكانت حياتها شهادة لهذا.

كانت في طريقها إلى الجامعة حين قام سكير بتجاهل إشارة حمراء، واصطدم بسيارتها. تم نقلها بسرعة إلى وحدة العناية المركزة بإحدى المستشفيات، وهي فاقدة الوعي وبإصابات بالغة في رأسها. حاربوا لمدة اثني عشر يومًا لإنقاذ حياتها.. دون جدوى.

قبل موتها بلحظات كنت واقفًا إلى جوار فراشها.. كانت كابنتنا، وفي قلبي كنت أصارع مع الأسئلة التي تفرض نفسها عليك في موقف كهذا. من الطبيعي أن يدفن الأبناء والديهم، لكن أن يدفن الآباء والأمهات أبناءهم....؟

لا توجد حقًا العديد من الأسئلة حين يموت شخص مسن ومتعب. لكن ماذا عن فتاة صغيرة كهذه أمامها حياة واعدة؟ ها هي تقضي آخر لحظاتها بسبب غباء رجل قاد سيارته تحت تأثير الخمر. لم أكن قد غادرت المستشفى بعد حين اتصلوا بي قائلين: "انتهى الأمر...".

وفي الأيام والأسابيع والشهور التالية، شاركنا ألم وحزن والديها بعض الشيء. كان كلاهما مؤمنين ناضجين وعلى علاقة وثيقة بالرب. لكن علينا أن ندرك أن كون المرء مؤمنًا لا يعني أن خنجر الألم لن يخترق نفسك، أو أنك لن تختبر الدموع والألم ومراحل الحزن المختلفة.

لكن القريبين منهم في وقت الحزن هذا سيتمكنون من رؤية الاختلاف الذي يصنعه الله في حياة الناس في أوقات كهذه. يا لها من تعزية أن نعرف أن هناك صورة أكبر من مجرد الحزن الأرضي! إن ما جعلهم يجتازون الأزمة هو معرفتهم أن ماريسكا تنتمي لله وأن لديها الإيمان القائل:

"لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ..." (يوحنا ١٤: ١ و٢).

فكرتُ أنها ستكون شهادة رائعة برؤية وسماع كيف تمكن هذين الشخصين، على الرغم من حزنهما وألمهما، أن يرفعا

رأسيهما ويكملان حياتهما. أحيانًا في المناسبات الخاصـــة، على الرغم من دموعهما، تمكنا من التقوى والتشجع بالفكرة المعزية أنها مع الرب، وأنهما كمؤمنين يمكنهما التطلع إلى لقاءها مجددًا بأحد الأيام.

والآن فيما تطلع الوالدين للوراء، خطرت على ذهنيهمـــا أفكار وكلمات عبرا عنها كما يلي:

جاني، والد ماريسكا:

"لا يضع المرء في اعتباره أنه عند الموت يُمنح الآخرين الحق في كشف كل جوانب كيانك دون من عائقٍ.. فتُفــرَّغ خزانتك وأغراضك، وتقوم العيون الجوعى بـــافتراس كـــل ملحوظة، وتصير كل رسالة وصورة في تليفونك المحمـــول مشاعًا للجميع.

كانت ماريسكا قد علَّقت صفوفًا مـــن الملـــصقات علـــى حوائط غرفتها وأبواب خزانتها. كان الأمر قد تطلب منهـــا بعض الوقت لتصنع هذه الملصقات، إذ كانت تقص الكلمات والحروف من المجلات، ثم تلصقها بحرص بحيـــث تؤكـــد على الأجزاء الهامة من العبارات. مـــا اكتـــشفناه أن هـــذه الكلمات لم تزين جدرانها وحسب، لكنها كانت فعليًا ظـــاهرة

على كل جوانب حياتها. لم تكن هناك مفاجآت.. لكن فقط إعجاب وتقدير تجاه الرب.

في الليلة السابقة للحادث كانت تستذكر مع اثنتين من صديقاتها استعدادًا لاختبار بالجامعة في اليوم التالي. كانت ستصاب في حادث سيارة مميت في طريقها لأداء الاختبار. قامتْ وأحضرتْ عصير عنب وخبز من أجل تناول رمزي.

حين اضطررنا للبحث وسط أجزاء الحطام في الأيام التالية للحادث ووفاتها، ظهرت هذه الأمور وأمور أخرى كانت بمثابة إشارة، مرساة، نور... لأننا نعلم أن حياتها في أمان بين يدي الإله الذي يمكنه أن يحب بحق؛ لأنه محبة...

ليس هناك من تعزية أعظم من هذه، لأنها تعني أن يومًا ما سيكون هناك مغزى لكل شيء. الله يضمن هذا."

كانت سورينا، والدة ماريسكا، قد فقدت بالفعل منذ سنوات طفلة صغيرة. وبناء على طلبي قامت هذه الأم المؤمنة بمشاركة شيء من قلبها وكيف اختبرت موت طفلتيها.

"لقد اختبرت الله ومحبته في موت ماريسكا بطريقة مختلفة تمامًا عما حدث مع طفلتي الأولى إلريز. حين ماتت إلريز كنتُ غاضبة من الرب. لم أتمكن من فهم كيف سمح بذلك!

وفي تلك الأثناء بدأت أسير مع الـرب وأنمـو روحيًـا. وصرتُ أعرف الرب كأبٍ يعلم ما هو الأفضل حتى إن لـم نعتقد دومًا ذلك. فهو يعلم خططه لنا، ويرى الصورة الأكبر. وأدركتُ أن بوسعي أن أثق به وأعهد إليه بحياتي. حقًـا لا يمكنني دومًا أن أرى خطة الله، لكن يمكنني أن أقول حقًـا: 'يا رب، أنا لا أفهم، لكني أثق بك'.

خلال الاثني عشر يومًا الذين قضتهم ماريسكا فـي الرعاية المركزة، صارعتُ مع الـرب. توسـلتُ إليـه أن يلمسها ويشفيها، إذ كنت أود للغاية أن تحيا. وفيما بدأ الوقت يمضي وأخبرنا الأطباء بالحقائق الصعبة (أن مخها قد توقف عن العمل)، بدأت أدرك أن الواقع يقول أن ابنتي ستموت.

لم يسبق لي في حياتي أن اختبرتُ كل هذا الألم ووجع القلب. لم أرغب في التخلي عنها، بل أردتُ الاحتفاظ بهـا مهما كانت التكلفة. واليوم أدرك أن كل شيء كـان يتعلـق بي.. ألمي، وليس ما هو أفضل لها.

وفي يوم أربعاء أخبرني جراح المخ أنهم سيوقفون كـل الأدوية، وأننا بدأنا نفقدها. ذهبتُ للخارج وتحدثتُ مع الرب: 'لا بأس، يا رب.. لا بأس إن كان هذا ما تريد أن تفعلـه'. ليس لأنه كان بحاجة إلى موافقتي! لا، بل فعلت هذا لأجلي.

كان عليَّ أن أتركها، مهما كان ذلك مؤلمًا لي. كانت ستصير في أمان مع الرب، ولن تحتاج إلى الحياة هنا بجسد معطوب.

أعلم أني كمؤمنة لستُ معفاة من البؤس والأحزان والدموع. لقد اختبرتُ أحاسيس عنيفة، لكني لم أتسائل قط أين ماريسكا. إذ كنتُ أعلم أنها مع الرب.

جاءت أيام شعرتُ فيها أني لن أتمكن من الاستمرار، وأن الألم والاشتياق قد صارا أكثر مما أتحمل. فكنتُ أذهب لغرفتي وأسكب قلبي أمام الرب. حين كنت أنهض من السجود على ركبتيَّ، لم تكن ظروفي تتغير، لكني كنت أختبر سلام وهدوء روحه.

صرتُ أعرف الرب بصورة أقرب

لم أحاول قط أن أحيا كل يوم بنصرة، كما يتوقع البعض من المؤمنين أن يفعلوا. لا، لكني كنت أمًا تطلب قوتها منه كل لحظة في اليوم، ولم يخذلني قط.

كانت نعمته كافية لي.. له كل التسبح!"

الفصل التاسع

رؤية ما لا يُرى

"فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّت، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي: 'لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ'."

(رؤيا ١: ١٧ و١٨)

حين يتكلم المرء عن آخِر خمس دقائق قبل الموت، يتبادر إلى ذهنه خبرات الاقتراب من الموت. على الرغم من أن هذه الظاهرة أو الخبرات قد سُلط عليها الضوء في السنوات الماضية، وتعاملت الكثير من الكتب والأفلام مع هذا الموضوع، إلا أنه ليس بجديد. فمنذ قديم الأزل وهذه الأمثلة موجودة. وأشهرها بالتأكيد هو استفانوس الذي رأى عند موته السماء مفتوحة ويسوع المسيح على يمين الله (أعمال ٧: ٥٥ و٥٦).

واليوم نجد قصصا مشابهة عديدة لذلك. عادة ما تكون وصفا قدمه أناس كانوا ميتين إكلينيكيًا أو في غيبوبة لوقت وجيز (عدة دقائق) بسبب حادث أو غرق أو مرض، ثم

عادوا للحياة.. أحيانا نتيجة قيامة. وفي أحيان أخرى كانت هذه القصص هي تسجيل لكلمات واختبارات احتضار أشخاص مختلفين.

علينا أن نتذكر أن الموت مُحاط بالغموض. فمتى بالضبط تموت؟ هل عندما يتوقف نَفَسك، أم عندما يتوقف قلبك، أم عندما لا يعد هناك موجات دماغية؟ في الواقع لا يموت الجميع بطريقة موحدة. فالموت يأتي للبعض في جزء من الثانية. وللبعض الآخر تمتد "لحظة الموت" لتصير ساعة الموت. إذ يبدو أن البعض "يعبرون الحدود" بصورة أبطأ.

وبالفعل عند الموت يتم عبور حدود.. حدود البعد بين عالمنا هذا والعالم الآخر. وأثناء عبور الروح والنفس البشرية هذا –والذي قد يتطلب وقتا أطول أو أقصر بالوقت الأرضي– يذكر الشهود أن البعض يختبرون ويرون أشياء من "الجانب الآخر" قبل أن يموتوا إكلينيكيًا. وبعبارة أخرى، يشير هذا إلى أن الناس يمكنهم لوقت قصير أن يكونوا جزءًا من عالمين أثناء لحظات احتضارهم.

في إحصائية أمريكية وُجد أن ٣٠% من الناس يحظون باختبارات فائقة للطبيعة عند موتهم، وتزيد النسبة مع الأطفال إلى ٧٠%. المُذهل هنا أن هؤلاء الأشخاص –

خاصة الأطفال- يرون ملائكة وكائنات سماوية أو (حسب وصف البعض) يسوع نفسه ويُعد الأمر مُذهلاً في حالات عديدة لأن الأحداث التي توصف لا يمكن إرجاعها إلى أية معرفة أو معلومات حظي بها الفرد مُسبقًا.

وما يمنح الكثير من هذه الخبرات مصداقية أكثر هو أن المحتضرين يمرون بخبرات متشابهة في أوقات وأماكن وظروف مختلفة. إلى جانب الكائنات السماوية المجيدة التي يرونها، يرى أيضا معظمهم نورًا مجيدًا لا يُوصف.. عادة عند نهاية نفق. ويتحدث الكثيرون عن جو وجمال سماويين، وبالأخص اختبار محبة وسعادة وسلام يتحدى الوصف بالكلمات.

يعتقد بعض المشككين أن هذه الخبرات يمكن إرجاعها ببساطة لهلوسة المخ. إلا أن هذا الاعتقاد يدحضه التشابه المُذهل بين خبرات أناس من أماكن وخلفيات متنوعة. أضف إلى هذا أن تقريبًا كل مَنْ مروا بخبرات موت وشيك -سواء إيجابية أو سلبية- قد غيروا حياتهم جذريًا بعد ذلك، ودخلوا علاقة جديدة حية مع الله.

يبدو أن هناك أمرًا غريبًا يحدث لمَنْ يمرون بمثل هذه الخبرات عند الموت.. فرغبتهم في الحياة تُستبدل بالرغبة

في الموت. بعبارة أخرى: إن ما اختبروه في الجانب الآخرِ من الموت كان رائعًا للغاية لدرجة أنهم لم يرغبوا في العودة للحياة على الأرض. تجد هذا بصورة خاصة في حالة من "يعودون" بعد موت واضح أو يفيقون من غيبوبة. وبعد ذلك ينظرون للموت بطريقة مختلفة تمامًا، كما يقولون أنهم لم يرغبوا في الرجوع.. إذ كان "الجانب الآخر" رائعا للغاية.

إن مَنْ يراقبون فراش موت المحتضرين، يلاحظون ظاهرة مثيرة لها علاقة بما سبق ذكره.. وهي أن الأطفال عادة لا يختبرون أي خوف أثناء موتهم. كثيرون ممَنْ لاحظوا الأمر، يرون الله والحياة بعد الموت بمنظور جديد تمامًا بعد ذلك. هناك أمثلة عن أطباء كانوا سابقًا غير مؤمنين أو لاأدريين، لكن قبلوا الخلاص كنتيجة لخبرات موت بعض مرضاهم.

في حين أن خبرات الموت الوشيكة عادة ما تكون مُعزية للكثيرين، لكن ينبغي أن نتذكر أن هذه القصص لن ترقى أبدًا لمستوى وحي الكتاب المقدس. وعلى الرغم من أن هذه الملاحظات قد تعني الكثير لمَن حظي بهذا الاختبار – ولآخرين- لكن علينا أن نحترس من تأسيس إيماننا ومعتقداتنا وتعاليمنا عن الأبدية والسماء على هذه الشهادات،

مهما بدت رائعة.. إلا في حالة تلك الخبرات التي تتفق مع شهادة الكتاب المقدس.

أود في هذا الفصل أن أشارك ببعض الحالات الحديثة لخبرات فائقة للطبيعة (إيجابية وسلبية) مر بها البعض بالقرب من الموت. وفي حين أنك يجب أن تتذكر ما قيل في الفقرة السابقة، إلا أن هذه القصص الحقيقية قد تكون مصدر تعزية وإلهام، وربما تحذير عن واقع الحياة بعد الموت، وكذلك الغموض المحيط بالموت نفسه.

لمحة عن الجحيم علمتني أن أحيا

ساريل هيربست: مُنح العديد من الفرص والتحذيرات كذلك، لكنه أبى أن يُنصت. قبل الحادث الذي غيَّر حياته بأربعة أيام جاءه أحدهم ليحدثه عن حياته. يذكر ساريل: "كنت شابًا منطلقًا، أنانيًا ومتعجرفًا لأقصى درجة. كنت أدوس على الناس كي أبلغ مرادي دون أن أهتم. واستمتعت بملذات الحياة". حين زاره هذا الشخص مجددًا، صرفه ساريل بجفاء.

جون ويسلي، من أشهر المؤمنين خلال القرن الثامن عشر ومؤسس الكنيسة الميثودية، قال عند نهاية حياة طويلة ومثمرة: "أفضل ما في الأمر هو أن الله معنا".

لكن إصرار هذا الرجل قد ترك أثرًا. يذكر ساريل: "قررتُ أن أذهب للكنيسة في ذلك الأحد. لكن بدلاً من ذلك قررنا الخروج للشواء، ثم تحول الأمر إلى حفل صاخب. وكنت مخمورًا للغاية". وقبل الحادث بيومين، قام رجل لابسًا ثياب بيضاء بوضع مظروف في يد ساريل يضم كتيب عنوانه "سبع طرق للحفاظ على حياتك والتصالح مع الرب".

"فزعتُ للغاية. هل كان الله يحاول أن يخبرني شيئًا؟ هل كنت مستعدًا؟ كيف بدت حياتي؟ ماذا لو لم يكن هناك من غد؟" وفي مساء اليوم التالي نال إجابات أسئلته. إذا وقع حادث رهيب –تصادمين من الأمام خلال خمس ثوان– غيَّر حياته في طرفة عين.

تم انتشال ساريل المُحطم من بين الحطام –إصابات حادة بالرأس، ووجه ممزق، أنف وفم مشوهين، كسور بفخذه، ورئة متضررة للغاية. وبعد أربع وخمسين عملية في العامين والنصف التاليين تعافى جسديًا أخيرًا، لكن كان عليه أن يتعلم السير والتحدث من جديد.

وكان تعافيه روحيًا أصعب بكثير. يذكر ساريل الأربعين يوما التي قضاها في غيبوبة على أنها أكثر أوقات حياته ظلمة ورعبًا. فوُصِف في المستشفى بأنه الشخص الذي

تصرف بجنون في غيبوبته؛ إذ كان يتشنج دون تحكم، ويصرخ في رعب وعينيه مفتوحتين قائلاً أنه مع "الثعبان الأسود". كان العرق يتصبب منه دومًا، وتدلى لسانه خارجًا، وكان الخوف في عينيه يُخيف الآخرين.

"بدا أنني لم أتحكم في نفسي على الإطلاق. لكن لم يعلم أحدهم أني كنت على بوابة الجحيم. لم يروا وهج اللهيب الأحمر، أو الدخان الأسود للهيب المدمر. لم يشموا الرائحة النتنة للنفوس المحترقة. لم يعلموا بأمر المياه التي كنت واقفًا فيها.. كانت حمراء كالدم ولم يسمعوا ما سمعته.. صوت أدركتُ لاحقًا أنه أصوات ملايين من الناس يصرخون وينوحون بملايين اللغات المختلفة. لم أتمكن من فهم اللغات، لكني علمت أن هؤلاء الأشخاص لم يعد لهم رجاء".

ثم رأى ساريل والدته، التي ماتت حين كان في الصف الأول الابتدائي، وكان هناك ملاك واقفًا إلى جوارها. "كان هناك وادي يفصل بيننا.. وكنتُ على الجانب الخاطئ. قالت أمي أني وحدي أستطيع أن أقرر أين سأقضي أبديتي. إذا متُ عندئذ، سيكون الجحيم هو سجني للأبد. وإذا قدمتُ حياتي ليسوع، سوف تصير السماء هي مصيري الأبدي".

بعد وقت طويل خرج من المستشفي ليعيد بناء حياته. "كان كل شيء في حالة فوضى. مَن أين تبدأ بعد ما تسببت بكل هذا الدمار؟ على ماذا تبني إن لم يكن لديك شيء؟" قدم ساريل حياته بالكامل للرب بعد ثمانية شهور وحسب بعد الحادث.

"إن فيلم آلام المسيح قد لمس كياني بعمق، خاصة بعد كل ما اختبرته في الغيبوبة. فبدأتُ أبكي. وخرجتُ من صالة منتحبًا وقد أدركتُ أن عليَّ أن أقدِّم حياتي للرب.. في لحظتها".

كذلك فإن كتاب الحياة المنطلقة نحو الهدف للكاتب ريك وارين قد جعله يُدرك: "إني هنا لأصنع اختلافًا. من المستحيل (والغباء) أن أظل صامتًا عن اختباري والطريقة التي حوَّل بها الرب حياتي".

واليوم يحيا ساريل ليحكي عن اختباره. صار يتكلم حيثما يمكن أن يسمعه أحد، ويخبر الجميع أن الله يدعوهم أيضًا للتصالح معه. "دائمًا ما أقول لكل مَن أحدثه: 'الله يؤمن بك. آمن بنفسك ومَنْ حولك. آمن بشريك حياتك وأبنائك وأصدقائك. احرص على أن تعرف كم أنكم غاليين ولكل منكم هدف محدد على الأرض'".

نجا ساريل من مرأى الجحيم، وهكذا اكتشف القصد لحياته. والأهم أنه اختار أن يحيا بشغف لا ينطفئ.

لمحة من السماء بعد حادث رهيب

جاءت فترة صارعت فيها **ماريتا كيت** مع إيمانها. قالت: "بدا أن صلاتي لا تتخطى جدران الحجرة، وأن الله لم يسمع ما أقوله".

لم يتطلب الأمر أكثر من يوم واحد حتى يتغير كل شيء. كانت ماريتا مصوِّرة فوتوغرافية، وكانت تلك الليلة في طريق عودتها من زفاف في ميلدرز دريفت. كانت قد أنهت للتو اتصالاً مع زوجها لورنس من هاتفها المحمول حين صدم رجل سيارتها بسيارته، وكان من عزم الارتطام أن جعلها تصطدم بسور أسمنتي مُقام عند منحدر خطر. حين فتحت عينيها، وجدت المُسعفين مشغولين بإعطائها حقنة مورفين.

قبل هذا بدقائق كان قد وقع حادث آخر في نفس المنحدر، لكن لم يتمكن المسعفون من إيجاده، ورأوا حادث ماريتا يقع أمامهم. أربك المورفين ماريتا، وكانت شبه فاقدة للوعي. وفي المستشفي فقدت الوعي تمامًا، ثم حدث شيء غريب.

"فجأة كنتُ داخل نفق، أعلم أنها كانت نفسي وحسب، لأني شعرت أني خفيفة كالريشة.. وفي النفق كان هناك أكثر ضوء ساطع رأيته في حياتي. علمتُ أني مُتُ وتساءلت إن كنت في طريقي للسماء أم الجحيم. انتظرتُ الظلام، لكن لم تكن هناك نهاية للنور. وفي تلك اللحظة سألني الرب إلى أين أود أن أمضي. قلتُ: 'إلى السماء يا ربي يسوع. فهذا ما كنت أصلي دومًا لأجله وأحيا لأجله'".

وفي اللحظة التالية صارت في مكان واسع، وما رأته لم يقترب حتى مما تخيلته عن السماء. كان هناك هذا المكان الواسع المُضيء بنور أبيض صافٍ، وأعذب موسيقى تنساب بالمكان. كذلك كانت هناك أصوات أحبائي.. مَنْ ماتوا، ومَنْ لا يزالوا على الأرض".

تعرفتْ على أصوات الجميع حتى وإن لم تتمكن من رؤية أيهم. قالتْ: "كنتُ مُحاطة بالقوة المُذهلة لُلكليّ القدرة".

ومُجددًا منحها الرب الاختيار: أترغب بالرجوع للأرض أم تظل هنا؟ أجابتْ: "أود أن أبقى هنا، لأن كل مَن أحبهم هنا. لماذا أرغب في الرجوع لحياتي على الأرض بكل مشاكلها وهنا المحبة والفرح دائمان إلى الأبد؟"

تصف ماريتا ما ظننت أنه وهم رائع. "إن السماء ليست أسطورة خرافية. هناك جو استثنائي من الحميمية، والجميع يحبون بعضهم البعض. لم أكن لأود قط أن أترك ابني وعمره شهر على الأرض.. لكنه كان هناك أيضًا!"

ثم أفاقتْ على مائدة العمليات منزعجة للغاية. قالتْ: "كان أحد المُسعفين لا يزال واقفًا بجانبي وسألني لماذا كنت متضايقة. أجبته: 'لأني أريد أن أرجع'. سألني: 'أين كنت؟ هل هناك سماء حقًا؟'".

في اليوم التالي جلب لورنس الكتاب المقدس الخاص بماريتا. فتحته على متى ١٠: ٣٩،

"مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا".

كان هذا كافيا لماريتا التي صارعت مع تساؤلها: لماذا أرجعها الرب للأرض؟ "منذ ذلك الحين وأنا في سلام مع ما حدث، وبدأت أخبر الجميع عن الأمر".

ماريتا على اقتناع بأن الله جعلها تأخذ وقفة. وفي حين كانت تجمع بصعوبة عدة دقائق لخلوتها، صارت الآن ترى أن المرء يجب أن يقضي ساعات مع الله. حين تسألها عن خطة الله لحياتها، تُجيب: "أن أعظ، لقد أعادني لأعمل معه.

حتى اليوم لم يمر يومًا دون أن أعظ، وأود أن أبدأ في الكتابة كذلك. إني أخبر الجميع بما حدث، فيتأثرون".

تؤمن ماريتا أنها ستتمكن من المشي مُجددًا، حتى وإن لم يراود الأطباء الأمل في ذلك. كانت قد أُصيبت بكسور متعددة في الحادث، إلا أن الأطباء ظنوا أنها معجزة أنها لم تُشَّل، إذ رأوا كيف كُسِر حوضها في الموضع الذي تكمن فيه الأعصاب.

"لقد اصطدمتُ بجدار أسمنتي، لكن خرجت بالجانب الآخر حية. أليست هذه معجزة في حد ذاتها؟"

فرصة ثانية

كان الوقت قد تأخر ليلاً، وكان **برجر هارمسي** ومعه فريكي وهيسي شتراوس في طريقهم إلى ناميبيا. وفجأة رأوا أضواء سيارة قادمة في حارتهم. وفي اللحظة التالية كان هناك الصوت الذي يصم الأذن لتمزق معدن السيارة. ثم الظلام...

يُكمل برجر القصة من هذه النقطة: "لا أعلم إن كنت خارج جسدي أم إن كنتُ أرى رؤيا، لكن عقب الحادث مباشرة شعرتُ كأني أنظر لحطام السيارة من أعلى. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أصف بها الوضع.

"كنت حتى هذه اللحظة أدير مزرعة سياحية ناجحة، وكنت أذهب للكنيسة في كل يوم أحد، دون أن تكون لي علاقة شخصية مع الرب. نجاحي المادي والعدد الهائل من السائحين الذين اختلطت بهم جعلاني أشعر لحد ما بأن لدي 'سلطان'. كنت أجد فكرة الميلاد الجديد غريبة، ولم أشعر براحة للمحادثات في هذا الموضوع. وعلى الرغم من أن فريكي وهيسي كانا شخصين ممتلئين بالروح، إلا أن الروح القدس كان غائبا تمامًا عن حياتي.

"بعد لحظات من الحادث نظرت حولي وأدركت بصورة غريزية أني واقف خارج بوابات السماء. فعلى بُعد ٣٠ متر مني كانت هناك بوابات لؤلؤية ضخمة. ومن هذه البوابات يشع نور ساطع جدًا.

"كان هناك لؤلؤ وذهب في كل مكان. وعلى بُعد قليل مني رأيت طريقًا مؤديًا إلى بوابات السماء. وكان يحيط بجانبي الطريق أعمدة من ذهب. وأمكنني طوال الوقت رؤية أشخاص يتجهون نحو البوابات. وكانوا جميعا يرتدون ملابس بيضاء كالثلج.

"عندئذ رأيت فريكي وهيسي. كان كلاهما يرتديان ملابس بيضاء، ويتحدثان مع رجل واقف عند البوابات. كان

وجهيهما يشعان بالمجد، وبدا أنهما فرحان للغاية. ثم دخلا عبر البوابة.

"أردتُ أنا أيضا أن أختبر هذا المجد. وأردتُ أن أقابل الرجل الذي تحدثا معه. وفي هذه اللحظة أدركتُ أنه على الرغم من تمكني من رؤية النور، إلا أني كنتُ واقفًا في الظلمة. وأدركتُ أنه يوجد وحشين مقززين إلى جواري. كان كليهما يرتدي ملابس سوداء.. وكذلك أنا. حاولت بكل قوتي أن أهرب نحو البوابات، ولكن الوحشين أمسكا بي من الخلف، وجذباني إلى عمق الظلمة والكآبة.

"صرختُ وصارعتُ حتى غلبني الخوف. وكانت هذه المرة الأولى التي أشعر فيها أن الله قد تركني تمامًا. وفيما بدأنا نتحرك إلى الأسفل، نحو ثقب مُظلم، أدركتُ فجأة.. أني في طريقي إلى الجحيم.

"وفي اللحظة التالية كان هناك وهج كريه. وشعرتُ بملمس الموت على جسدي بأكمله. وأدركتُ مصدومًا أني سأظل هناك للأبد!

"بدأت صراعًا عنيفًا من أجل البقاء مع هذين الوحشين المُفزعين. وبدأت أصرخ مُناديًا الله بكل ما بداخلي. وفي اللحظة التالية بدأ شيء ما يجذبني للأعلى مجددًا، بعيدًا عن

ذلك المكان المروع. وبعد ذلك بأربعة عشر يومًا أفقتُ ووجدتُ نفسي في المستشفي.

"ظللت أرى بعيني ذهني إعادة عرض اختباري هذا، كما لو كان إعلانًا مزعجًا، لكني لم أتمكن من مشاركته مع أحد. جزئيًا لأني خجلتُ من الاعتراف لأحد بأني كنتُ في طريقي للجحيم، وجزئيًا لأني تيقنتُ أن الجميع سيظنون أني جُننتُ.

"كل ما أردته هو أن أعود إلى ذلك المكان المجيد المدعو السماء، لكني لم أعلم كيف يمكنني هذا. لم يتمكن من مساعدتي أي من الذين لجأت إليهم. وبدأتْ المشاعر المتراكمة تجذبني عميقًا إلى هوة الاكتئاب، واستنزفني الخوف. بدأتُ أعبث حول الموت، لكن قبل أن أتمادى، كنتُ استرجع الإدراك المرعِب بأن هناك مصيرًا واحدًا ينتظرني: الجحيم.. مصيرًا لا أتمناه لألد أعدائي.

"وبعد بحث طويل ومضن، التقيت بمعالجة نفسية ممتلئة بالروح.. شخصية لم تعتقد أني مجنون. عضدتني بكل الخطوات. وفي إحدى المراحل اقترحتْ أن أحضر مؤتمر للرجال. وفعلاً ذهبتُ. وهناك اكتشفتُ الإله الحي العجيب، وقبلته مُخلِّصًا وفاديًا ليَّ. نلتُ الميلاد الجديد، واليوم لا يمكنني أن أكف عن إخبار الناس بهذا الاكتشاف!"

رؤية ما لا يُرى

قبل طباعة هذا الكتاب بوقت وجيز تلقيت الخطاب التالي، وقد أدرجتُ نسخة دقيقة منه بموافقة المعنيين بالأمر. في هذه الحالة لم يكن الشخص الذي مات، بل طفل مُصاب للغاية هو مَن حظي باختبار فائق للطبيعة عند وفاة والده. كتبت لي جدته هذا الخطاب، وأكدت الأحداث والدته، التي كانت موجودة وقت الحادث.

عزيزي الدكتور إيزاك،

بعد أن فكرت في الأمر طويلاً، قررتُ أن أشاركك قصتي. لا بد أن أذكر هنا أني قد قرأت العديد من كتبك، ومن ضمنها "أول خمس دقائق بعد الموت".

في ليلة ٣ إبريل ٢٠٠٧ كانت ابنتي وعائلتها في طريق عودتهم من عطلة ممتعة للغاية في هارتنبوش: جيرارد (٣٧) زوج ابنتي، مادلين (٣٦ سنة) ابنتي، جيرمي (١٠ سنوات) وجاك (٨ سنوات) حفيدي. كانوا عائلة مترابطة يعرفون الرب وقبلوا يسوع مُخلِّصًا لهم. كانت التأملات والمناقشات العائلية مثل: الحياة بعد الموت، المغفرة، الخطية، يسوع، الله، الروح القدس، إلخ جزءًا من حياتهم.

لكن تغيرت حياتنا تمامًا في هذه الليلة. وقع الحادث على بُعد ١٤ كيلو متر من وينبرج، حين فقدت شاحنة إحدى إطاراتها. اصطدم

الإطار بسيارة خلف الشاحنة، ثم انطلق كالقذيفة عبر الزجاج الأمامي لسيارة أبنائي. تقول مادلين أنها لن تنسى قط تعبير الصدمة وعدم التصديق على وجه جيرارد فيما اندفع إلى الأمام. كان الإطار قد اندفع بقوة نحو وجهه وصدره. ونتيجة لهذا قُطع رأسه تقريبًا، وسُحق بصورة سيئة.

وتسببت صدمة الارتطام في انفلات كرسي السيارة إلى الوراء، ووقع جيرارد على جاك.. رأسه أولاً. كان شيء ما قد جرح جاك عبر جبهته من الحاجب الأيمن حتى خط الشعر. وكان الدم يتدفق بغزارة ويُغرق وجهه. قالت مادلين: أن جاك كان يصرخ بُحرقة، ثم فجأة صار هادئًا.

كان كل شيء في حالة اضطراب، واصطحبتهم الإسعاف إلى مستشفي ويلكوم.

وبعد الحادث بأسبوعين، سأل جاك أمه إذا كان الحادث قد وقع حقًا. أكدت له أنه قد حدث بالفعل. وفيما يلي رواية جاك لما جرى:

جاك: "عرفت ليلة الحادث أن بابا مات بالفعل. سقط رأسه على حجري، وما رأيته لم يكن جيدًا. حين لمست رأس بابا، شعرت أنه مثل الهلام. فصرخت: 'يا يسوع ساعدني'. فجأة رأيت نورًا في الحقل. كان النور يقترب ويقترب. حين صار النور بجانب السيارة، وجدتُ أنه بابا. كان شكله كما نعرفه، لكن لم يبد عليه أنه أصيب..

كانت بشرته مختلفة، شفافة مثل النور. كان يرتدي ملابس غريبة.. ملابس لا يمكنك أن تحصل عليها هنا. لم أر من قبل ملابس وألوانًا جميلة كهذه. كانت عيناه خضراء كما كانت تمامًا وكانت براقة جدًا".

مادلين: "ماذا كان يفعل؟ هل كان حزينًا؟"

جاك: "لا، يا ماما. كان سعيدًا لأننا بخير. جاء وجلس بجانبي وقال أنه ليس عليّ أن أقلق. فهو في السماء الآن. كذلك وقف بابا أمامِك وأنتِ في السيارة. قال لك ألا تقلقي، فذراعك سيكون بخير (كان ذراع مادلين مكسورا بصورة سيئة.. واخترق العظم اللحم). طلبتُ منه ألا يتركنا وأن يبقى معنا. لكنه قال أن وقته على الأرض قد انتهى، وأنه لا يمكنه البقاء أكثر من هذا. ثم لستِ رجليه يا ماما، فقال أن هذا لم يعد جسده". (تذكرت مادلين لاحقًا ما قاله جاك. كانت الصدمة قد أنستها ما حدث، وصارت تتذكر الأمور بغموض).

أكمل جاك: "كان هناك أيضًا ملائكة كثيرون. كانوا مُمسكين بأيدي بعضهم البعض مُشكلين دائرة حول السيارة. لم يبدوا كما تخيلت الملائكة سيكونون. لم تكن لهم أجنحة. كانوا ضخام وطوال القامة جدًا. كان هناك ملاك قائد لهم.. كان أطول واحد فيهم. كلم بابا وقال له: 'نحن حرسناكم'. ثم التفت إليّ وقال: 'لا تخف، الله سوف يعتني بكم من الآن'. ثم ظلوا معنا طوال الوقت.. حتى حين أخرجنا الناس من السيارة، كانوا معنا".

مادلين: "إلى متى ظلوا؟"

جـاك: "رحلـوا عندما أخذتنـــا الإسعاف. صعد بابا أولاً، ثم قائد الملائكة، ثم باقي الملائكة. آخِر شيء أذكره هو وجه أبي يختفي في الغيوم. ماما، كان المكان الذي وقف بابا والملائكة فيه كعالم خيالي. كان جميلاً للغاية. أريد جدًا أن أذهب لهذا المكان. كان الملائكة يشعون بالجمال، لكن أبي كان أجمل منهم. أذكر عينيه.. كانتا مذهلتين!"

كانت عينا جاك متورمتين بشدة بسبب إصاباته، فلم يتمكن من الرؤية. إن وضعنا في اعتبارنا أن الدم كان يغطي عينيه، فسوف ندرك أنه حين دعا يسوع في ضيقه، فتح الله عينيه الروحيتين حتى يتمكن من الرؤية.

لم يدرك جيرمـي جيدًا ماذا يجري من حوله. لم يكن مُصابًا، لكنه عانى من الصدمة. قال سائق سيارة الإسعاف أنه تأثر للغاية بصلاة الطفل لأبيه طول الطريق.. حتى أن الصبي جعله يبكي.

كلنا شعرنا بصدمة من كل شيء.. لكن هللويا، فقد اختبرنا سلامًا غامرًا بعد أن شارك جاك باختباره معنا. مجدًا للرب! أفترض أن بإمكانك أن تدعو الأمر كما تريد، لكنني أعلم يقينًا أن يسوع حي وأنه ممسك بزمام الأمور في حياتنا.

كان جيرارد مُباركًا بمواهب عديدة. لكنني توقفت عن طرح الأسئلة. أعلم أنه في البيت! لقد عــاش حياته على الأرض حتى ملئها. وخدم الرب بحماس. سوف نفرح جميعًا معًا في السماء!

في الختام

إن هذه القصص حقيقة، وهي مطابقة لقصص أخرى من نفس النوع. علينا كذلك أن نتذكر أن هذه القصص حكاها أناس "عادوا" من خبرات موت وشيك أو من بعد الموت. إلا أن معظم الناس انتقلوا إلى الأبدية (سواء السماء أو الجحيم) دون أن تصل قصصهم إلى آذان أشخاص مثلك ومثلي.

لعل بإمكاننا أن نرى هذا على أنه جزء ضئيل من نعمة الله ومحبته. فبالإضافة إلى حقيقة تحدث الله إلينا بوضوح من خلال كلمته، فهو أيضًا يحدثنا من خلال شهادات كهذه. ربما قد تعزيتَ.. وربما جلب الروح القدس اضطرابًا متزايدًا لقلبك.

أرجو أن تدرك في نهاية هذا الكتاب ماذا تفعل...

الفصل العاشر

هل سترى الموت قادمًا ؟

"وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هذَا خَافُوا! أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟ بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ! فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!"

(لوقا ١٢: ٤- ٧)

إن كلاً منا يسير في طريق مختلف بالحياة. البعض يسير في طريق شاق مليء بالأشواك. بينما يبدو طريق البعض الآخر مفروشًا بالورود منذ البداية.. فتجد طريقهم سلبيًا، والرياح تدفعهم دومًا للأمام. وأكثر الأجزاء التي تختلف بين الكثيرين هي آخر جزء في حياتنا.

تذكر للحظة مرات سافرتَ فيها بسيارتك في طرق طويلة. هناك الأجزاء الممتدة في استقامة من الطريق حيث

يمكنك أن ترى ما ينتظرك بالأمام. فترى من بعيد على جانب الطريق شجرةً، تلاً، بقرة، حمارًا، أو حتى حفرة سيئة.

لكن هناك أيضًا الأجزاء التي بها متعرجات خطرة، كمثل الطرق الجبلية. عندها لا تتمكن من رؤية ما يكمن بالطريق بعيدًا، بل ترى فقط ما هو أمامك مباشرةً، إذ يوجد منعطف حاد في الطريق. وعادة ما يكمن الخطر هناك.. شيء كامن في الطريق، شخص يعبر الطريق، سيارة متعطلة. وقبل أن تتمكن من التوقف، تجد نفسك تفقد السيطرة على سيارتك.. وأحيانًا ما تكون هناك نتائج قاتلة لهذا.

ثم هناك الأوقات والأماكن المحددة التي تسافر فيها عبر ضباب كثيف. وهذا أمر سيء، بل خطير. إذ تمضي برؤية محدودة. خاصة إن كنت لا تعرف الطريق الذي تسافر به. وهناك أيضًا مخاطر السائقين المتهورين عليك.

إن طريق الحياة مشابه لهذا كثيرًا. فأنت تعلم أن الموت ينتظرك بمكانٍ ما بطريق الحياة هذا.. لكنك لا تعلم أين أو كيف. بعضنا سيرتحل في طريق طويل مستقيم حتى النهاية. سوف نرى من بعيد أن الموت يقترب. عادةً لا نود أن نفكر

بالأمر أو نتذكره. لكننا دائمًا ما نجد علامات على طول طريقنا بالحياة تخبرنا بأن الطريق لن يدوم للأبد.

وتبدأ تدريجيًا في منتصف العمر تلاحظ أنك لا تستطيع عمل ما اعتدت عمله من قبل. بدأت أدرك هذا فجأة في أحد الأيام على الشاطئ حين حاولت أن أوضح لأبنائي الطريقة السليمة لقيادة الدراجة.. فقط كي أُحرَج باكتشافي أنه صار من الصعب جدًا عليَّ أن أناور بها. أو تلك المرة التي أردت أن أوضح لهم فيها مدى سهولة إدارة حلقة "هولا هوب" فقط كي أخجل بإدراكي أني لا أستطيع الاحتفاظ بها حول وسطي، ناهيك عن إدارتها.

إن كلمات سي أم فان دين هيبفر تجعل المرء يتوقف بعض الشيء: "سيظل العُشب ينحني والماشية تربض، وتدعو الحياة، لكن أنت؟ حيث أنت الآن، سترعى الخراف".

حين تتأمل الأمر، تجد أنك تخطيت علامة نصف الطريق.. السنوات التي تنتظرك أقل من تلك التي مضت، والطريق بالأمام أقصر من ذلك بالخلف. ثم رغمًا عنك تضطر لمواجهة حقيقة أن الموت ينطبق عليك كذلك.

ليس "إذا" بل "كيف"

أرسل ويليام ساروبان تلغرافا لجريدة Press Associated قبل موته بوقت قصير في عام ١٩٨١، قال فيه: "يجب أن نموت جميعًا، لكني اعتقدتُ دومًا أنه سيكون هناك استثناء في حالتي". لكن للأسف الاستثناءات في هذا الأمر ليست كثيرة. ففي الواقع لا نعلم سوى برجلين مذكورين في الكتاب المقدس هما: أخنوخ (تكوين ٥: ٢٤)، إيليا (٢ ملوك ٢: ١١). لا يمكننا أن نجزم بعدم وجود استثناء ثالث في المستقبل، لكنك ستوافقني الرأي أن الاحتمالات ليست في صالحنا. وبالإضافة إلى هذا، فيبدو أنها قد حُجزت لمَنْ ساروا مع الرب بكمال طوال الوقت (تكوين ٥: ٢٤).

باختصار: إن طريقك وطريقي الأرضي لن يستمرا إلى الأبد، وسوف تأتي خمس دقائق أخيرة. تخبرنا رسالة العبرانيين ٩: ٢٧ أنه

"وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ.

إن الحياة كرحلة.. رحلة سنضطر خلالها لعبور بوابات الموت في مكان ما ووقت ما. لكثيرين منا يمتد طريق الحياة أمامنا، طويلاً ومستقيمًا. فنرى علامات المسافات فيما تمر بنا على مر السنوات. هناك الكثير جدًا من العلامات لتذكِّرنا

أن الطريق بالأمام صار أقصر. وتصير علامات كبر السن ويقين الموت الحتمي أوضح كل يوم.

إذًا السؤال ليس "إذا".. بل "أين" و"كيف". إن الباحثين في علم الشيخوخة يعترفون أن الناس يعيشون الآن فترات أطول، وذلك يرجع بصورة أساسية للتقدم في المجال الطبي. فصار بإمكان أجسادنا أن تعمل لفترات أطول. لكن يظل الواقع أن الموت يمكن تأجيله في أفضل الأحوال، لكن لا يمكن إيقافه.

طريق منحدر

مثل تل أو شجرة على جانب الطريق تبدو في البداية كنقطة في الأفق ثم تدريجيًا تقترب، كذلك الموت أيضًا يظهر في أفق حياتنا. هناك العلامات البسيطة الغير ملحوظة بأن الأشياء ليست كما اعتادتْ أن تكون. كما لا يمكنك أن تفعل ما اعتدتَ عمله من قبل. وتجد أن المخطط البياني لقدراتك الجسدية قد بلغ ذروته في أواخر العشرينات من عمرك.

قد نحاول على قدر إمكاننا أن نخفي علامات التقدم في السن ونؤجلها على قدر الإمكان. ويكون هذا هو الوقت الذي نُبدي فيه اهتمامًا أكبر بأسلوب حياتنا. فنتبنى عادات صحية

في تناول الطعام. ويدرك الكثيرون أهمية اللياقة الجسدية، فيزورون صالات الألعاب الرياضية بانتظام، أو يبدءون في استخدام الدراجات بحماس، أو يمشون أو يهرولون، والبعض يلجأ لجراحات التجميل.

على الرغم من ذلك، تستمر السنين في تقدمها بلا هوادة. فيبدأ شعرك يصير خفيفًا، ويتسلل الشعر الأبيض على هامتك حتى يستولي عليها. وتبدأ التجاعيد تصير غائرة. ويبدو لك أن الجلد عند رقبتك هو أكبر من مقاس رقبتك.

تجد أنك تجرح نفسك بسهولة أكثر، تمرض ثم تأخذ وقتًا أطول لتتعافى. تفقد لياقتك بسهولة أكثر، ثم تأخذ وقتا أطول لتسترد لياقتك. يمكنك أن ترى أن الشباب يرون أنك كبير السن، ويعاملونك على هذا الأساس. وتبدأ في المعاناة من آلام لم تعرف بوجودها من قبل.

تقل مقاومتك، وتصير هشًا وضعيفًا. ربما تعاني من مشاكل مع ضغط الدم والكولسترول. وربما يظهر ورم خبيث بمكان ما بالجلد. قد يمكن التحكم في كل هذه لسنوات عديدة ببعض المساعدة من الأدوية والعمليات الجراحية. لكن يأتي وقت تصير فيه الأعراض أكثر حدة. فتضطر لتناول أدوية أكثر وأقوى. نعم.. هذا يبدو كئيبًا، لكن هذا هو الواقع

القاسي للحياة. إن واقع الموت يصير أقرب.. كعلامة بجانب الطريق تقترب بسرعة وتبدو أكبر كلما اقتربت منها.

المفاجآت السيئة تمنحنا نعمة لتصويب الأمور

أحيانًا يأتي الموت عاجلاً وفي صورة مفاجأة سيئة.. كشيء يظهر أمامك فجأة بعد منعطف بالطريق أو في الضباب الكثيف. أقصد بهذا مرضًا كسرطان مُميت: ورم خبيث يجتاح جسدك بصورة عنيفة. فتخضع للعلاج الطبي أو العمليات الجراحية. أحيانًا يبدو أن هناك نتائج إيجابية، ثم يعود المرض أسوأ مما كان. عندئذ يقول الطبيب: "يمكننا أن نقدم لك هذا العلاج أو ذاك. قد يُضيف شهرين أو ثلاثة لحياتك". وعادة ما يعني هذا التخلي عن نوعية الحياة التي حظيتَ بها من قبل. وأحيانًا ما تضطر أنت أو عائلتك لسماع الحكم القاسي: "أمامك شهر أو ثلاثة على أقصى تقدير".

يُطلقون على السرطان المميت وصف "المرض الرحيم". هل تساءلت من قبل كيف يمكن لمرض يقود لموتٍ سابق للأوان أن يُدعى مرضًا رحيمًا؟

ألا يمكننا أن نقول نفس الشيء عن الإيدز؟ إن نسبة مُفزعة من تعداد جنوب إفريقيا يعانون من هذا المرض العديم الشفاء. يحيا الناس بمرض الإيدز في المتوسط لمدة

سبع سنوات قبل أن يقتلهم مرض متعلق بالإيدز.. البعض قد يحيا فترة أطول أو أقصر من هذه. في حالة البعض تنجح أدوية منع الانتكاسات في تأجيل المحتوم بعض الشيء. لكن يعلم كل مَن أُصيب بالإيدز: إنه مجرد حكم إعدام مؤجل.. سوف أموت قبل الأوان.

لا شك أن هناك بعض القسوة والبرود في معرفة أن الموت يقترب بلا هوادة.. لكل من المريض وأقربائه. لكن هناك أيضا النعمة الهائلة التي تأتي مع المرض المميت (على الأقل لبعض الأشخاص). وهي أنك تعلم على الأقل أن وقتك على الأرض محدود، وتصير أمامك الفرصة لترتب أحوال بيتك. أغلب الظن أن معظم الناس، على الرغم من إدراكهم لعدم إمكانية الهرب من الموت، إلا أنهم ليسوا مستعدين للموت.. ليسوا مستعدين لمواجهة خالقهم! أيًا كان اسمه، "مرض رحيم" أم سرطان أم إيدز، فهو يمنحك نعمةً.. وقتًا مستعارًا لإصلاح ما يحتاج للإصلاح.

والأشخاص الذين يُمنحون وقت نعمة كهذا يختبرون عادةً، بصورة غير مسبوقة، إدراكًا لأولويات الحياة.. تلك الأشياء الهامة حقًا. ليس هناك ما يجعل الناس يرتبون

أولوياتهم بسرعة وبلا جهد مثل إعلان أن وقتهم المتبقي على الأرض صار محدودًا.

لعلك سمعت محاضرات وقرأت كتبًا عن ترتيب الأولويات، وكيفية التفريق بين الأمور الهامة والأمور العاجلة. إلا أن معظمنا في واقع الأمر يُهمل الأمور الهامة لأجل الأمور العاجلة.. وعادة ما تصير الأمور عاجلةً لأنها لم تُعالج في الوقت المناسب، إذ ظللنا نؤجلها. ومعرفة أن الموت صار قريبًا تجعل من السهل للغاية على الناس أن يدركوا ما هي الأمور الهامة في الحياة.

تشارلز التاسع ملك فرنسا قال في النهاية: "إنني ضال. أدرك هذا بوضوح".

لو كان تبقى لك أسبوع

تخيل الموقف التالي: تلقيت نبأ أن أمامك أسبوعًا واحدًا فقط لتحياه (وبالطبع ندرك جيدًا أنه لا ضمان هناك لأي منا، حتى الأطفال، أننا لن نموت خلال أسبوع). تُرى كيف سيبدو جدولك في هذا الأسبوع؟ تُرى هل سيتغير بصورة جذرية؟ ما الذي ستقلِّله أو تلغيه؟ ما الذي ستضيفه؟ إلى ماذا ستولي انتباهًا أكبر؟ ما الجوانب التي تحتاج فيها لتعويض ما فاتك من أوقات؟ ما هي الأشياء التي ستسارع لإنهائها؟

إذا أجبتَ هذه الأسئلة بصدق ووجدتَ أن جدولك سيتغير بصورة درامية، فغالبًا سيعني هذا أن أولوياتك ليست مُرتبة جيدًا.. أي أنك أهملت الأمور الهامة. ولعل هذه هي أسهل طريقة لترتب أولوياتك في الحياة.. أن ترتب وتدير حياتك عالمًا

دومًا واقع "**إِنَّهُ كَخَطْوَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ**" (١ صموئيل ٢٠: ٣)

ومن ناحية أخرى، لا يُنذَر الجميع بموتهم الوشيك. فيستمرون في الاندفاع بلا عائق في طريق الحياة، دون أن يدركوا على الإطلاق أن الموت كامن لهم عند منعطف الطريق. لكن المرض الرحيم يمنحك الفرصة لتصويب الأمور في الوقت المناسب.

كانت الأم تريزا واحدة من أشهر وأكثر المؤمنين احترامًا في القرن العشرين. حين أرادوا إعطائها أدوية لتخفيف ألمها عند نهاية حياتها، رفضت قائلة: "أود أن أكون متنبهة حين أقابل إلهي". وعلى الرغم من أن كثيرين قد اضطربوا بعد موتها بسبب اعترافها ببعض شكوكها، إلا أن كلماتها الأخيرة ليست غامضة: "يا يسوع أحبك. يا يسوع أحبك".

من أول الأشياء التي تصير فجأة هامة للكثيرين في وقت كهذا هو علاقتهم بالرب. يبدو الأمر كما لو أنهم يدركون بصورة غريزية: إن حياتي ليست على وفاق مع خالقي! وتجد الشخص الذي كان قبلاً لا يهتم على الإطلاق بالله والحياة بعد الموت، قد صار فجأة هشًا وضعيفًا.. فتنساب دموعه بسهولة ويصير مُنفتحًا ومتقبلاً حين يُفتح حديث عن الله ونعمته ومحبته. إن الموت يجعل الناس يفكرون بصورة مختلفة عن الله، والسماء والجحيم.

وقت لإصلاح الأمور

أشكر الرب أنه يحبنا للغاية، لدرجة أنه يسمح أحيانًا أن نجد أنفسنا في ظروف صعبة حتى نتمكن من إصلاح الأمور معه. ففي النهاية، ما الهدف من الحياة الطويلة على الأرض ثم الموت دون التصالح مع الله؟ إن مثل هذه الحياة تُعد عقيمة وقد ضاعت سُدى.

عدد كبير من الناس تصالحوا مع الله وهم في وادي ظل الموت. من ناحية أخرى، تُعد هذه مخاطرة إذ لا يُنذَر الجميع مُسبقًا أنهم سيموتون. وكثيرون لا ينالون فرصة قبول الخلاص على فراش الموت.

حدثت نفس هذه الظاهرة في جنوب إفريقيا منذ سنوات، حين كان يتم تطبيق عقوبة الإعدام. في ذلك الوقت تحدثتُ مع أكثر من قس يخدم وسط المحكوم عليهم بالإعدام. وجميعهم أخبروني بنفس القصة. فالمجرمون العُتاة والقتلة ومَن يحاولون التحرر حتى آخِر لحظة، حين يأتي ذلك اليوم الذي تفشل فيه التماساتهم ويتحدد موعد الإعدام، تجد أكثرهم قسوة يغني لحنًا مختلفًا للغاية. فيبدأ السجين منهم يُدرك: سوف أعلَّق من رقبتي حتى أموت في ذلك اليوم المحدد، الساعة السادسة.... ثم ماذا؟

هذا هو السبب وراء رجوع معظم المحكوم عليهم بالإعدام إلى الله في ندم، واعترافهم بخطاياهم في الساعات والأيام الأخيرة قبل موتهم. فيرجعون إلى الإله الذي له من النعمة والمحبة ما يكفي لتخليص وتطهير حتى القتلة والمجرمين المذنبين بجرائم بشعة كاللص على الصليب.

كثير من هؤلاء المذنبين بجرائم عظمى، قد ساروا إلى المشنقة وهم يرنمون ويصلون حتى انفتح الباب تحت أقدامهم وسكتت أصواتهم فجأة.

إن أفضل مثال لنعمة الله في حياتك ليس حين تهرب من مرض مميت، أو حين يسمع أحد المحكوم عليهم بالإعدام أن

التماسه بالعفو قد قُبِل. بل أفضل مثال للنعمة هو حين تقبل نفسًا ضالة – سواء كانت حياة صاحبها جيدة أم سيئة ــ خلاص يسوع المسيح وتخلُص بمحبة الله العظيمة. إن وجودك على الأرض لفترة أطول ليس مهمًا. ما يهم حقًا هو أين ستفتح عينيك خلال خمس دقائق من موتك.

إن العقل يجفل حين يفكر المرء في مثل هذه النعمة المُذهلة وما تفعله لمجرم قاسٍ قد يشعر المرء أنه يستحق أن يحترق في الجحيم. فهذه النعمة تسمح لمثل هذا أن يُغفر له ويخلُص ويكون في السماء كذلك يومًا ما. هذه النعمة المُذهلة يمكنها أن تقول للص على الصليب:

"الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لوقا ٢٣: ٤٣).

نعمة الله أعظم دومًا ...

يذكرني هذا بقصة سمعتها يوما عن خبرة مر بها الواعظ المعروف تشارلز مادون سبيرجون. كان قد أنهى لتوه أحد الاجتماعات في خيمته الضخمة في لندن. كانت عظة تلك الليلة مبنية على كلمات يعقوب في رسالة يعقوب ٤: ٦،

"وَلكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ".

بعد الاجتماع تقدم إليه رجل خائف وقال: "سيد سبيرجون، لعلك سمعت عني. أنا فلان، أسوأ المجرمين شهرة في لندن.

لقد قررتُ أن أحضر خدمتك الليلة، لأني أدرك أن حياتي الآثمة ستلحق بي في وقت ما. كانت وعظتك عن نعمة الله رائعة ولمستني بعمق. لكنها للأسف لا تشملني، فليس هناك رجاء لي. إن خطيتي عظيمة للغاية ومرتفعة للغاية، أعلى من الغيوم والنجوم، وأعلى من نعمة الله. إنها تصل إلى السماء وتنتهي أمام عرش الله".

نظر سبرجن إلى هذا الخاطئ الضال المُدان وقال له: سيدي، أجلب أطول شريط قياس يمكنك إيجاده. ثم تعال وقم بقياس حجم وارتفاع خطيتك. وحين تنتهي، تعال وقم بقياس ارتفاع نعمة الله. عندئذ ستدرك أن الكتاب المقدس قال: 'يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ'. لا يخبرنا الكتاب أنه يُعطي نعمة 'عظيمة'، بل 'أعظم'، لأن نعمته دوما أعظم.. أعظم من خطيتك. إذا كانت خطيتك مرتفعة كالغيوم، فنعمة الله أعلى. إذا كانت خطيتك تبلغ النجوم، فنعمة الله تبلغ ما هو أبعد. إذا أتيتَ لله وتُبتَ عن خطاياك، ستجد دومًا أن الله يعطي نعمة أعظم".

ويليام سيدني بورتر، المؤلف الذي مات في ٤ يونيو ١٩١٠، قال قبل موته: "أضيئوا الأنوار. لا أريد أن أذهب لبيتي في الظلام".

الآن يا عزيزي، إذا كنت تعتقد أنه من المهم أن تتصالح مع الله قبل بلوغ الأردن، وإذا كنت تفهم لماذا يفعل الناس هذا حين يدركون أن موتهم اقترب.. فهل تصالحت أنت مع الله؟ هل أنت مستعد لمقابلة خالقك؟ وإذا كان الأمر بهذه الأهمية، فلماذا لم تفعله بعد؟ هل يستحق الأمر المخاطرة؟ لستَ بحاجة للاستمرار هكذا ساعة واحدة أطول من هذا.

علاقتك بالآخرين

بعد إعطاء الأولوية لإصلاح الأمور مع الله، هناك شيء آخر يصير فجأة هامًا للناس حين يدركون أن الموت وشيك.. وهو علاقاتهم بالآخرين. فحين يدرك أغلب الناس أنهم سيموتون، لا يودون عبور بوابات الموت وفي حياتهم علاقات متضررة. لقد وجدتُ أنه حينما يدرك أحدهم أنه سيموت، فإنه يذهب لزيارة الآخرين أو يرسل مستدعيًا أحدهم قد لا يكون قد رآه منذ سنوات بسبب خلاف ما. عندئذٍ لا يصير من المهم مَنْ أخطأ ومَنْ قال ماذا، إنما يود فقط المحتضر أن يُسامِح ويُسامَح.

تجد الرجال يطلبون من زوجاتهم المغفرة، والعكس صحيح، الآباء يطلبون من أبنائهم، الأصدقاء الذين ابتعدوا لسنوات، الإخوة والأخوات والذين كان هناك عداء بينهم. فلا

أحد يريد الموت ودخول الحياة بعد الموت، التي لا رجعة منها، مع وجود علاقات متضررة. وفي النهاية، كيف يمكنني أن أتوقع مغفرة الله إن لم أكن مستعدًا للمغفرة؟

أطرحُ هنا السؤال مجددًا: لماذا يرغب الناس وهم على فراش موتهم أن يُصلحوا العلاقات المتضررة بهذه الصورة المُلِحة؟ لماذا يُعَّد الأمر مهمًا لهم؟ وإن كان الحال هكذا، فلماذا انتظروا.. لماذا قاموا بتأجيل طلب المغفرة ومنح المغفرة؟ ماذا لو جاء موتك أو موتي فجأة ولم يكن هناك وقت لإصلاح الأمور؟ لن يكون هناك "مرض رحيم" لجميعنا ..

اعترف رجل الدولة المعرف ونستون تشرشل في نهاية أيامه: "يا للأحمق الذي كنته!"

إذا أخذك الموت على غرة...

أحيانًا يكون البعض منهمكين ومتعبين من المعاناة والألم، فتجدهم يتطلعون للموت ويرحبون به. تجد هذا وسط المسنين، مَن يعيشون في بيت مسنين، والذين يقضون أيامهم في حجرات صغيرة حتى يذبلون وعادة ما يكونون وحيدين ومنسيين ومتروكين في كبرهم. لكثير منهم يبدو الموت

خلاصًا، ولا تجد أسئلة كثيرة حين يموتون.. بوسع المرء أن يقول أنهم عاشوا حياة كاملة.. حياة استُنفِذت بمعنى أصح.

من ناحية أخرى يأتي الموت لكثيرين في وقت غير مناسب. فهم ليسوا مسنين، لم ينتهوا من الحياة بعد، ولم يملوا منها. ما زال لديهم الكثير من الخطط والأحلام.. ليسوا مستعدين بعد للذهاب. وهناك أسئلة عديدة عند وفاتهم وجنازاتهم. نعم، فللبعض لا يُعلن عن الموت مُسبقًا. ولا يرونه قادمًا حتى يتمكنوا من الاستعداد له.

يمكنك أن ترى أخدودًا أو عائقًا في طريق مفتوح في وقت مناسب وتتفاداه، لكن يختلف الأمر إن ظهر فجأة في ضباب كثيف أو والشمس تعميك. فالموت على طريق الحياة أحيانًا ما يكون مفاجئًا ولا مجال لتجنبه أو الهروب منه.

هناك أعداد هائلة من الأشخاص في كل أرجاء العالم يموتون يوميًا بطرق غير طبيعية.. فجأة وعلى غير توقع. لا يرون الموت قادمًا، وليسوا مستعدين له. فكر في مَن لا ينجون من نوبة قلبية أو سكتة دماغية، أو من دخل في غيبوبة ولم يستعد الوعي قط.

يُقتل حوالي خمسين فرد يوميًا في جنوب إفريقيا. غالبًا كان آخرِ شيء رأوه هو قناع يغطي وجه القاتل أو مسدسه. ربما سمعوا دوي الطلقة، ربما شعروا بألم حاد ثم الظلام.

مَن يعلم كم منا سيصيرون جزءًا من إحصائيات حوادث الطرق؟ لا يمكن لأحدنا أن يضمن أننا لن نلقى حتفنا في حادث سيارة. الأميرة ديانا لم تعرف، ولا بلس بريدجز، ولا الآلاف الذين يموتون على الطرق سنويًا. ما يحزنني أكثر ويُعد أكثر مأسوية هو العدد الهائل للصغار الذين يموتون قبل الأوان في الحوادث على الطرق.

كيف سيحدث الأمر؟ ماذا ستكون آخرِ ذكرى لك أو لي؟ إطارات متمزقة، صرخة مكتومة، وطلب الرب؟ تمزق المعدن وتناثر الزجاج؟ ألم حاد، دم يجري، ثم الظلام.. قد انتهى الأمر. ستظل آخرِ خمس دقائق قبل الموت لغزًا.. ثم ماذا؟

كثيرًا ما تعجبتُ من هذا الأمر. لو كان أمامي الاختيار، فهل كنت سأود أن أعلم متى سأموت، أم سيكون من الأفضل أن تأتي النهاية دون توقع؟ هل كنتَ ستفضل أن تعرف في أي عام أو في أي شهر سوف تموت؟

أعتقد أنه إذا كان قلبك ملكًا لله، إذا قبلتَ محبته وفداءه في الجلجثة، سيكون من الأفضل ألا تعلم متى ستموت. دعه يأتي على غير توقع أو إعلان.. وإن كان لي أن أطلب كل هذه النعمة، فليكن أثناء نومي. من جانب آخر، إذا لم تكن قد تصالحت مع خالقك، فربما سيكون من الأفضل -ومن النعمة الزائدة- أن تُمنَح تذكرة أو ربما تحذير أخير أن الموت يكمن في الانتظار. ربما يكون هذا الكتاب هو هذا التحذير الأخير.

آلام الموت

في ميلادك (إن كان طبيعيًا) كان هناك آلام تسبقه لتعلن أن ميلادك آتٍ. لن تتمكن أي أم أو أب اختبرا هذا من نسيان الأمر. لا يمكنني أن أنسى وصول طفلي الأول! زوجتي توقظني في منتصف الليل، قائلة: "لقد حان الوقت". والجري نحو غرفة الولادة.. تتابع الانقباضات سريعًا والألم يحتد. حتى..

دائمًا ما تصاحب الولادة الطبيعية بعض الآلام. لكن لسوء الحظ (أو لعله لحسن الحظ) لا توجد هناك دومًا آلام احتضار تعلن عن قدوم الموت.

بعضنا سيعلم أن هناك دقائق أو ساعات أو حتى أسابيع قليلة متبقية. آخرون لن يعرفوا شيئًا مسبقًا. كثيرون منا سيكونون في صحة رائعة قبل وفاتهم بدقائق. ومأساة الحياة هي أنه لا يموت المرضى أو المسنين وحسب. ليس للموت حد عمري، ولا يطلب تقريرًا طبيًا أو إذن محكمة أو مذكرة قانونية، كذلك لا يطلب بيانًا بحساب بنكي، وليس مهتمًا بجدول أعمالك، ولا ينتظر أن تودع أحباءك... إن الموت قاسٍ. إنه كمجرم قلبه متحجر.. لا يترك الجنين في بطن أمه، أو الصبي على دراجته، ولا رجل الأعمال الناجح في رحلته، ولا الرجل المسن الجالس في شرفة بيت مسنين.

لا تظن أني أكتب هذا لأخيف الأطفال أو أعادي الناس. سيكون هناك لكل منا خمس دقائق أخيرة.. وهذا أمر أكيد. السؤال هو كيف ومتى؟ ثم هناك اللقاء الهام.

مكالمة إيقاظ

سافرت كثيرًا عبر السنين مع مجموعات سياحية خارج البلاد. كانت العادة عندئذ أن ترتب مع الفندق لتلقي مكالمة إيقاظ. أما في هذه الأيام فهو نظام أوتوماتيكي يجعل تليفونك يرن في وقت محدد، فترفع السماعة وتضعها وتتأهب للإفطار حتى تلحق بحافلتك التي ستصحبك في جولتك.

أذكر في أحد الأعوام أننا كنا جميعا في الحافلة مستعدين للانطلاق حين لاحظنا أن إحدى المشتركات بالرحلة معنا لم تكن بالحافلة. بدأنا نسأل وعلمنا أنها لا زالت في فراشها نائمة. كان الأمر مُحرجًا وتسبب في بعض التأخير، لكننا مضينا أخيرًا في طريقنا.. متأخرين بعض الشيء.

هناك لقـــاء آخـــر في ساعة يعلمهـــا الله وحده. لقاء مع الموت.. بل هو فعليًا لقاء مع خالقك. فما الموت إلا بوابة تعبر من خلالها لتصل إليه. هذا هو اللقاء الذي لن تنتظرك فيه "الحافلة" كي تستعد.. لن يكون هناك وقت لتستعد، بل ستضطر للذهاب كما أنت.

المشكلة هنا تكمن في المخاطرة التي تقوم بها، فربما لا تتلقى مكالمة الإيقاظ قبل هذا اللقاء بوقت كاف. كما قلنا من قبل، هناك مَن يتلقون مكالمة إيقاظ مُسبقًا –ربما مرض أو دلالة من نوع ما تخبرك بأن وقتك كاد ينتهي. والسؤال هو إذا تلقينا مكالمة الإيقاظ هذه، فكم من الوقت تمنحنا؟ خمسة شهور؟ أم ثلاث دقائق؟ أم لا تمنحنا أي وقت على الإطلاق؟

هل تود أن ترتب لمكالمة إيقاظ كهذه إن أمكنك؟ تخبرنا رسالة أفسس بوضوح في ٥: ١٤،

"اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ".

إذا كان من الممكن أن ترتب لمثل هذه "المكالمة"، فكم من الوقت ستحتاج كي تستعد، وتطلب الله.. فأنت لا تود أن تقابل المجهول بعد الموت دون أن تكون مستعدًا؟ ماذا إن كان الله موجودًا حقًا؟ حتى متى تود أن تحيا بعدم يقين؟ حتى متى تود أن تحافظ على مسار حياتك تحت طوعك؟ هل تريد مكالمة إيقاظ في اللحظة الأخيرة؟ خمس دقائق قبل موتك.. أم يوم؟

سمعتُ عن معلم يهودي، رجل مستتير وجاد تجاه الله وكلمته. قال في إحدى عظاته: "تب في اليوم **السابق** لموتك!" وكلما جاء أحد بعد العظة ليسأله: "لكن يا مُعلم، كيف يمكن للمرء أن يتوب في اليوم **السابق** لموته؟ نحن لا نعلم متى سنموت"؟ فكان يجيبهم: "بالضبط! لأنك لا تعلم متى ستموت، فاليوم هو الوقت المناسب".

لا أعلم إن كانت الملكة إليزابيث الأولى، والتي ماتت في عام ١٦٠٣، كانت مستعدة للقاء خالقها أم لا. لكن كلماتها الأخيرة سُجلت: "كل ممتلكاتي مقابل لحظة من الوقت".

أليس من المدهش أن كلمة "اليوم" تُستخدم في الكتاب المقدس حين تُذكر التوبة؟ لذلك كما يقول الروح القدس:

"الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ. فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ" (عبرانيين ٣: ٧- ٨).

إن اليـــوم هو اليوم الذي ينبغي أن تستيقـــظ فيه وتتجـــه للرب.. الآن، بينما تسمع مكالمة إيقاظك التي هي صوته.

قد تسأل: "لكن، هل يحظى كل الناس بمكالمة إيقاظ؟ وإن كان لا؟ فهل الله ليس عادلاً كي يُنذر البعض مسبقًا؟" أود أولاً أن أقول أنك باعتبارك تقرأ هذا الكتاب، فلا يمكنك أن تقول أنك لم تتلق مكالمة إيقاظ. فهذا الكتاب هو مكالمة إيقاظك من الله.

منذ ألفي عام، عند أورشليم القديمة وعلى تل يُدعى الجلجثة، كان هناك ثلاثة صلبان. وهناك، على الصليب الأوسط، ليراه ويسمعه الجميع، صرخ الله.. وعمل مكالمة إيقاظ:

"لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦).

لا.. الله ليس بظالم.

إني لست قاضيًا كي أُصدر حكمًا على مَن لم يسمعوا مُطلقًا بيسوع. افترض أن الله سيحكم على كل شخص حسب النور الذي تلقاه. لكن من جانب آخر، أشك جديًا أن يتمكن أحد من القول عن حق أنه لم يُمنح فرصة وأن الله لم يتحدث إليه.

الله يتحدث بطرق عديدة

هناك طرق عديدة يحدثنا بها الله، ويمنحنا مكالمة الإيقاظ الخاصة به. فهو يخاطبنا من خلال وحيه العام – خليقته والطبيعة– (رومية ١: ١٩ و٢٠)، وضميرنا (رومية ٢: ١٤– ١٦).

كذلك يخاطبنا الله ويدعونا عبر الأحداث في حياتنا من خلال مرض أو ظرف صعب أو أشياء تحدث ولا يمكن أن نعزوها للصدف. وهو يتحدث إلينا عند فراش موت أحد أحبائنا، أو عند قبر مفتوح. ليس كأنه هو مَن يجعل الأمور السيئة تحدث لنا، لكنه يستطيع استخدام هذه الدقائق العصيبة في حياتنا.. تلك الأوقات التي نكون فيها

الشاعر دي جي أوبرمان كتب التالي عن الموت: "أيامي تختفي كالسلوى وسط العشب الطويل. وحين أرى الحصاد الضئيل للأيام المجيدة، أندب القوة والوقت اللذين أهدرتهما".

هشين وتزيد قابليتنا للاستماع له عن الأوقات التي نكون فيها أقوياء وممسكين بزمام الأمور. فللأسف "يسمع" البعض بصورة أفضل في فراش مستشفى أو بجانب قبر مفتوح.

هل سمعت دعوة الله لإيقاظك واستجبت لها؟ تحدثتُ منذ فترة مع جمع كبير عن هذا الموضوع. تقدم عدد هائل عند الدعوة لتقديم حياتهم للرب. ورأيتُ وسطهم رجلاً في حوالي الخمسين من عمره وشعره أشيب، وكان يصعد السلالم متجهًا نحو المنصة. لاحظتُ أن خديه مبتلان بالدموع. تقدم إليَّ ووقف بجانبي وأخذ يدي قائلا: "منذ خمس وعشرين سنة في كنيسة في هايدلبرج منحتني مكالمة إيقاظ من الله. في تلك الليلة فتحتُ قلبي للرب ودعوته إلى حياتي. ومنذ ذلك الحين كانت خدمته هي مصدر فرحي وفخري، وأعلم أنني سأكون مستعدًا حين يقرر أن يدعوني. الليلة أردتُ أن أشكرك لأنك أيقظتني في الوقت المناسب حتى أتمكن من الاستعداد لمقابلة خالقي". كم كانت هذه لحظة خاصة بالنسبة لي!

لو لم تملك هذه القناعة القوية بعد، فعليك أن تفكر في احتمال أن يكون هذا الكتاب هو طريقة الله في إيقاظك وإخبارك: "استعد لمقابلة إلهك!". إذا فعلت هذا، فلن تجعل

الملائكة في السماء وحسب يفرحون (لوقا ١٥: ١٠)، لكنك ستملأ أيضًا قلبي بالفرح.

في أجمات الأردن

بعد كل ما ناقشته قبلاً، أود أن أخذك إلى آية في الكتاب أقف أمامها مرارًا وتكرارًا. يقول إرميا ١٢: ٥ حسب ترجمة كتاب الحياة :

"إِنْ كُنْتَ تَتَعَثَّرُ فِي أَرْضٍ مُطْمَئِنَّة،
فَكَيْفَ تَفْعَلُ فِي أَجَمَاتِ نَهْرِ الأُرْدُنِّ؟"

وحسب ترجمة فاندايك:

"وَإِنْ كُنْتَ مُنْبَطِحًا فِي أَرْضِ السَّلاَمِ
فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي كِبْرِيَاءِ الأُرْدُنِّ؟"

يمتد نهر الأردن لأكثر من ١٠٠ كيلومتر عبر الوادي العظيم بين بحر الجليل والبحر الميت. كان قد تم تعمير هذا الوادي الخصيب في العقدين الماضيين، وكان بمثابة سُلَّم بين إسرائيل والأردن.

لكن لقرون عديدة، كان هذا الوادي الخصيب مُغطى بنوع من الأشجار الكثيفة. تدعوها بعض الترجمات "أجمات". كانت بعض الأسود تُفضل الحياة في هذه الأجمات. نقرأ في (إرميا ٤٩: ١٩)

"هُوَذَا يَصْعَدُ كَأَسَدٍ مِنْ كِبْرِيَاءِ (أجمات) الأُرْدُنِّ..".

كانت الأسود تحتمي هناك، ومن هناك تخرج لصيد فرائسها والعودة مجددًا.

هكذا كان نهر الأردن مكانًا خطيرًا في تلك الأيام. لذا لا عجب أن صارت الأردن على مر العصور رمزًا للموت.

السؤال في إرميا ١٢: ٥ هو أساسي للغاية. في الظروف المواتية حيث كل شيء مناسب لك وبيدك زمام الأمور، تشعر بالأمان والهدوء.. لكن ماذا سيحدث عندما تجد نفسك في وسط ظروف مجهولة وخطرة، في مواجهة الموت؟

دعني أُطبق هذا في سياق الحياة والموت.

عندما لا تواجه حياتك أية تهديدات وبيدك زمام الأمور، عندما يكون ضغط دمك ١٢٠/ ٧٥ ومعدّل نبضك ٧٠ في الدقيقة، عندما يبدو مستقبلك ورديًا وأحوالك المادية مستقرة وبإمكانك التطلع لسنوات جيدة أمامك.. عندئذ تشعر بالرضا والأمان والاطمئنان.

لكن ماذا لو.. ماذا لو تحوّل النهار فجأة إلى ظلام بالنسبة لك؟ ماذا لو واجهت الطبيب وهو يخبرك: "إن النتائج ليست كما توقعنا.. إن نمو هذا الورم قاتل، والتوقعات ليست حسنة"؟

ماذا ستفعل في أجمات الأردن؟ ماذا ستفعل في هذا الجزء من الثانية حين تدرك أنه لا يمكنك تجنب الحادث؟ فجأة ظهرت سيارة أمامك من العدم، وآخِر شيء تسمعه هو صوت المعدن يتمزق قبل أن يسود الظلام وينتهي كل شيء.

ماذا ستفعل في أجمات الأردن..

إذا توقفتَ عند إشارة المرور وكان آخِر ما تذكره هو فوهة مسدس عند نافذتك ووهج يعمي الأنظار ودوي يصم الآذان؟

ماذا ستفعل في أجمات الأردن..

إذا هز الطبيب رأسه لآخِر مرة، وأنزل سماعته، ووضع الغطاء على رأسك؟

قبل أن يلفظ جوزيف إيفريت أنفاسه الأخيرة بخمس وعشرين دقيقة، ظل يردد كلمة واحدة: "مجدًا، مجدًا، مجدًا" لابد أنه اختبر شيئًا رائعًا فيما عبر الحدود بين الحياة والموت.

في أرض السلام تشعر بالطمأنينة... لكن ماذا ستفعل في أجمات الأردن؟

تراثك الغالي

أذكر اليوم الذي تلقيت فيه اتصالاً من سيدة شابة. أخبرتني باختصار عن صديقها الذي مات فورًا في حادث سيارة، وعن السؤال الذي كانت تصارع معه وطلبت ميعادًا.

بعدها بعدة أيام، جلست أمامي في مكتبي شابة أنيقة في منتصف العشرينات من عمرها. أخبرتني بمشكلتها. كان صديقها، الذي كانت ستتزوج منه قريبًا، قد فقد تحكمه في سيارته بساعات الصباح الباكر في طريق عودته من ليلة بالمدينة.

في جنازته رأت كتابي "أول خمس دقائق قبل الموت" في مكتبة الكنيسة. جذب العنوان انتباهها، فقامت بشرائه. أخبرتني والدموع تملأ عينيها أن بسبب ما قرأته في الكتاب، تصالحت مع الله وأنها تعلم أنها ابنته الآن.

لكنها أضافت أنها تتعذب في صراعها مع الأسئلة عن حبيبها المتوفي. كانت تعلم أنه نشأ في بيت مسيحي مؤمن، وأنه كان يحضر مدارس الأحد، لكنها لم تكن متأكدة إن كان قد منح قلبه للرب قبل أن يموت. لذا جاءت لمقابلتي، آملةً أن أتمكن من منحها بصيص أمل تتعلق به. لم تستطع أن تتحمل مجرد احتمال أنها لن ترى الرجل الذي أحبته وكادت تتزوجه مجددًا، وأنهما لن يكونا معًا مجددًا بعد الموت. حقًا كان هذا أمرًا مؤسفًا.

كثيـــرون، حتى الذين لم يهتمون كثيرًا بالدين أو الله حين

كانت حياتهم تسير بسلاسة، يصارعون مع مثل هذه الأسئلة حين يُلقي ظل الموت على أحبائهم.

نظرتُ لتلك الشابة متمنيًا أن أمنحها جوابًا شافيًا. أخبرتها أني لا أود أن أمنحها أملاً كاذبًا. كل ما أمكنني قوله عن خطيبها أن نعمة الله أعظم مما يمكننا تخيله. لعله سلَّم قلبه للرب حين كان صبيًا صغيرًا. ومَنْ يعلم على أي حال ماذا جرى بينه وبين الرب في لحظات احتضاره.

كذلك أخبرتها أنه لا يمكن لأحد عمل شيء الآن. ولا حتى مائة واعظ أو كنائس يمكنهم عمل شيء حيال نفسك بمجرد ما أن تموت. يمكن للناس الاعتناء بجسدك وتطييبه ودفنه، وقد يقول الناس أبهى الأشياء في جنازتك وينقشون أكثر الكلمات تأثيرًا على قبرك.. فبعد الموت لن يعني كل هذا شيئًا سوى للباقيين وحسب.

ثم أخبرتها بما أؤمن أن الرب أرادها أن تعرفه –وأنت وأنا كذلك: في حين أن افتراضاتنا وصراعنا لن يفرقا مع المتوفي الآن، لكن يمكننا الآن أن نحرص ألا يضطر أحباؤنا للتساؤل عن مكاننا حين نموت.. ربما قبل الأوان. فبإخضاعنا حياتنا لله والحياة في مجده، يمكننا أن نترك لهم

تراث سلام ورجاء بأننا سنرى بعضنا البعض مُجددًا في يوم ما.

قد يعتقد البعض أن ما أكتبه عاطفيًا للغاية ومُفرطًا في التقوى.. لكن صدقني حين يأتي يوم تلمسه فيه وتجده باردًا، أو تكلمها ولا تُجيبك.. فإنه هذا الرجاء، بل هذا اليقين، هو ما يخفف ألمك ويعزيك ويساعدك على النهوض وعيش حياة هادفة مُجددًا.

توماس ألفا أديسون، المخترع المعروف، قال في لحظات احتضاره في ١٨ أكتوبر ١٩٣١: "إن المكان جميل هناك للغاية".

يخبرنا الرسول بولس في ١ تسالونيكي ٤: ١٣- ١٨ بما سيحدث لمَنْ سبقونا وماتوا في يسوع المسيح. يقول أنه سيأتي يوم نتقابل فيه معهم ونكون جميعًا مع الرب للأبد. ويختتم بقوله: "*لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلاَمِ*" (ع١٨)

إن القادرين منا يؤمِّنون على حياتهم، وجميعنا نرتب حتى لا يواجه أحباؤنا أي مشاكل حين نموت.. وهذا أمر جيد.

لكن دعني أخبرك أنه ولا حتى وثيقة تأمين بالملايين سيكون لها نفس المغزى والقيمة لأحبائك بعد موتــك كمعرفتهم أن قلبك كان ملكَ الرب وأنك صرتَ معه.. أنك

مع الإله الذي يحبك أكثر من أي أحد، في ذلك المسكن السماوي الذي أعده لك (يوحنا ١٤: ٢). والأمر الهام كذلك هو أنكم سترون بعضكم البعض مجددًا، وأن الوضع الراهن مؤقتٌ. ليس هناك شيء، ولا أي مبلغ من المال يمكنه شراء هذه التعزية والسلام. إنه أفضل تراث يمكنك تركه لأبنائك.

خاتمة

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ."

(رؤيا ٢١: ٤)

ماذا تعني الأمور المكتوبة بهذا الكتاب؟ ما فائدتها لك ولي؟ قبل كل شيء، أثق أن ما قرأته هنا قد عزاك ومنحك رجاءً.. وأنك كمؤمن سوف تتذكر أن الموت ليس النهاية، لكنه بوابة يجب أن يعبرها أبناء الله قبل أن نتمكن من البقاء مع المسيح في مجده للأبد. في آخِر خمس دقائق قبل الموت سوف نختبر ما اختبره داود والكثير من المؤمنين من بعده.. أن ابن الرب لا يخاف شرًا في وادي ظل الموت أثناء آخِر خمس دقائق قبل الموت.

إن موت المؤمن ليس نصرًا لإبليس. فهو يشير إلى أنه قد خسر للأبد في ما يتعلق بحياتك.. لن يتمكن مجددًا من إغوائك أو التسبب في حزن ودموع لك. قبل موتك يظل

إبليس يلعب دورًا في دراما الحياة، لكن بعد الموت ليس هناك سوى الله. علينا أن نتذكر أن لا شيء يمكنه أن يخطفنا من يد الله ولا شيء يمكنه أن يبعدنا عن محبته.

ربما فقدتَ أحد أحبائك، وربما كان هذا سابقًا للأوان. لكَ أن تجد تعزية في حقيقة أن مغزى الحياة لا يُقاس بعدد سنواتها، بل بكم كانت هادفة وإلى أي حدٍ كانت بركة للآخرين.

ثم هناك مَنْ أريد أن أسألهم: في ضوء ما قرأته ومع التفكير في حتمية الموت، هل أنت مستعد لمقابلة خالقك؟ ربما اختبرتَ تحدُث الله إليك أثناء قراءتك لهذا الكتاب، حتى إن كنت قد ظللتَ لا مباليًا بشأن الحياة والموت حتى الآن. أما الآن... فأنت لا تريد ولا تحتاج، بل ولا تجرؤ أن تخاطر أكثر من هذا بأن تأتي آخِر خمس دقائق لك فجأة ودون توقع.

قرأتُ منذ أيام عن رجل شاب يحتضر. كان خوف الموت قد تملك منه بينما هو في قبضة الموت الشريرة. كانت أمه معه تحاول تهدئته وتعزيته، فقالت: "تماسك يا بني، كل شيء سيكون على ما يرام". نظر إليها الشاب في

يأس، وهو ينازع من أجل التنفس، قائلاً: "هذه هي المشكلة يا أمي.. ليس لديَّ ما أتمسك به".

حين تصل إلى وادي ظل الموت، سوف تسر بأن يكون لديك صخر الدهور لتتمسك به.. يسوع المسيح.

يمكنك أن تتخذ القرار في الدقائق التالية، وتصلي صلاة قد تكون الأهم في حياتك.. قرار سوف يجعل الملائكة يفرحون. فلا تذهب أنت للجحيم، ومَنْ ستتركهم على الأرض خلفك سوف يشكرون الله دومًا على هذا.

أود أن أدعوك أن تصلي الصلاة التالية معي ببطء وبساطة وإخلاص:

صلاة

يا رب، إني أتقدم إليك في اسم يسوع المسيح. أعترف أني لستُ مستعدًا للموت. أعلم أني لستُ قادرًا على تخليص نفسي، لكن يسوع مات على الصليب لأجلي. أعترف بخطاياي أمامك وأسألك أن تغفر لي كل خطية منها. أقبلك مخلِّصًا وربًا وإلهًا

لي. على أساس حق كلمتك أؤمن الآن أنك قبلتني ابنًا لك، وبنعمتك قد غفرتَ لي وصرتُ مخلَّصًا.
أحمدك وأسبحك لأني صرتُ ضمن عائلتك ويمكنني أن أدعو نفسي ابنك. أصلي أن تمسك بي في كل لحظة من حياتي، وأن تكون معي في اليوم الذي أعبر فيه بوابة الموت. في اسم يسوع المسيح. آمين.

والآن أود أن أهنئك على أهم قرار في حياتك. من المهم أن تصبح عضوًا وسط جماعة من المؤمنين في أقرب فرصة ممكنة. إن لم تكن عضوًا بكنيسة، فابحث عن واحدة يمكنك الانخراط بها وتجد فيها غذاءً روحيًا وعونًا.

إذا كنت قد وجدت الرب نتيجة لهذا الكتاب أو إن عنى لك شيئًا خاصًا، فسوف يملأني هذا بفرح عظيم. أود أن أدعوك لتكتب لي وتشاركني. أرسل لي على العنوان البريدي: afmgs@mueb.co.za

أراك هناك...

إصدارات مكتبة المنار

م	اسم الكتاب	[illegible]
١-	الكتاب المقدس مع دراسات للنمو في الحياة المسيحية	٧٠,٠٠
	C.D الكتاب المقدس مع دراسات للنمو في الحياة المسيحية	٢٥,٠٠
٢-	هل حقاً تكلم الله ؟	١٠,٠٠
٣-	جوني (نفذ)	
٤-	انهض وحارب (نفذ)	
٥-	لكي أربح	٧,٠٠
٦-	العلاقة الحميمة مع الله	٦,٠٠
٧-	رحلة في دروب الحياة (نفذ)	٤,٠٠
٨-	أعماق نفسي	١٢,٠٠
٩-	تُرس الصلاة (نفذ)	٦,٠٠
١٠	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٥,٠٠
١١	نسل إبراهيم (جـ ١)	٤,٠٠
١٢	نسل إبراهيم (جـ ٢)	٤,٠٠
١٣	الحرب الروحية (نفذ)	٨,٠٠
١٤	مع المسيح فوق الآلام (نفذ)	٣,٥٠
١٥	روعة الحياة بالإيمان (نفذ)	٨,٠٠
١٦	يشفي نفسي (نفذ)	٣,٠٠
١٧	القيادة (نفذ)	٨,٠٠
١٨	العهود السبعة	٨,٠٠
١٩	كيف تنتصر على الخطية (نفذ)	٢,٥٠
٢٠	المحبة حينما تبدو مستحيلة (نفذ)	٥,٠٠
٢١	أين أجد الوقت (نفذ)	٦,٠٠
٢٢	اكتشاف المصير (نفذ)	٢,٥٠
٢٣	العلاقات الصحيحة (نفذ)	٧,٠٠
٢٤	سر القط الضاحك (أطفال) (نفذ)	١,٥٠
٢٥	المسيح يحررك (كتيب) (نفذ)	٠,٧٥

٢٦	أسرار النجاح الروحي (نفذ)	٦,٠٠
٢٧	مصر المباركة	٧,٠٠
٢٨	بالحقيقة أحرار	٨,٠٠
٢٩	أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٣٠	حنان الآب	٢,٥٠
٣١	رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣٢	دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة (نفذ)	٨,٠٠
٣٣	لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٣,٠٠
٣٤	بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٥	أخرج من مخبأك	٢,٥٠
٣٦	الديداخي – أي تعليم الرسل (نفذ)	٧,٠٠
٣٧	الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١	٨,٠٠
٣٨	حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٩	التقليد الرسولي	٨,٠٠
٤٠	الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٩,٠٠
٤١	سر البغبغاء الثرثار(أطفال)	١,٥٠
٤٢	المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٣	قصة ميلاد المسيح (نفذ)	١,٥٠
٤٤	الانطلاقة	٦,٠٠
٤٥	الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة الكتاب الأول: دليل المعلم	
٤٦	الكتاب الثاني: معرفة الله أبينا	
٤٧	الكتاب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	
٤٨	الكتاب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	
٤٩	الكتاب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتـــاب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر)	١٥٠,٠٠
٥٠	نحو زواج أفضل	١٣,٠٠
٥١	المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦,٠٠
٥٢	إرشاد الصغار إلى الله (نفذ)	١٤,٠٠
٥٣	إعادة بناء الحياة	٢,٥٠
٥٤	أشتاق إلى الله	٢,٥٠
٥٥	البحث عن السلام	٥,٠٠
٥٦	أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس (نفذ)	٤,٠٠
٥٧	غيِّر عالمك بالصلاة	٨,٠٠

٥٨	غريب عن المألوف	٣,٥٠
٥٩	مناضل في سبيل الحرية (نفذ)	٨,٠٠
٦٠	جورج موللر ـــ الوصي على أيتام بريستول	٨,٠٠
٦١	هدسون تايلور ـــ في قلب الصين	٨,٠٠
٦٢	كوري تن بووم ـــ مختبرة الصفح والغفران (نفذ)	٨,٠٠
٦٣	وليم كاري ـــ ذهبتُ طائعاً (نفذ)	٨,٠٠
٦٤	اِرعَ قلب طفلك	١٠,٠٠
٦٥	آباء وأبناء (نفذ)	٤,٠٠
٦٦	الخروج من دائرة الراحة	٦,٠٠
٦٧	علامات على الطريق "تأملات عميقة" (نفذ)	٦,٠٠
٦٨	وعود الله في الكتاب المقدس (نفذ)	٤,٠٠
٦٩	سلسلة شباب ملتهب: ١- تداوس "صاحب الوجوه المتعددة"	٥,٠٠
٧٠	٢- يهوذا "الذي لم يستجب"	٤,٠٠
٧١	٣- بارثولماوس "لم يعرف الغش والرياء"	٤,٠٠
٧٢	٤- متّى "الذي بذل لكي ما يتبع" ويعقوب الآخر "الذي كان دائماً هناك"	٤,٠٠
٧٣	٥- توما "الذي أراد أن يرى"	٣,٠٠
٧٤	٦- يوحنا "الذي كان يسوع يحبه"	٣,٠٠
٧٥	٧- فيلبس "الرجل الذي سمع الصوت"	٣,٠٠
٧٦	٨- سمعان القانوي "الذي تبع بقلبٍ من نار"	٣,٠٠
٧٧	٩- أندراوس "الذي قاد الآخرين إلى يسوع"	٣,٠٠
٧٨	١٠- يعقوب بن زبدي "الذي ربح إكليله" وبطرس "الذي سقط ثم صار شعلة من نار"	٤,٠٠
٧٩	ساعة سقوط الأسوار	٣,٠٠
٨٠	أجندة الصلاة اليومية	٩,٠٠
٨١	الرب راعيَّ	٧,٠٠
٨٢	كلمة الله كيف نحفظها في أذهاننا ؟ (نفذ)	٦,٠٠
٨٣	الصلوات العامة للمناسبات الكنسية	٣,٠٠
٨٤	ضد التيار (نفذ)	٨,٠٠
٨٥	السيد المسيح في مصر (نفذ)	٢,٥٠
٨٦	أعطني رزقاً	٢,٥٠
٨٧	اُسلكوا بالروح	٤,٠٠
٨٨	تبعية يسوع	٥,٠٠
٨٩	طلب وجه الرب	٣,٠٠

٩٠	الصلاة بالكلمة المقدسة ج١ (نفذ)	٨,٠٠
٩١	الصلاة بالكلمة المقدسة ج٢	١٠,٠٠
٩٢	تدعيم الزواج (نفذ)	٨,٠٠
٩٣	ادونيرام جدسون ــ الذهاب إلى بورما	٨,٠٠
٩٤	جوناثان جوفورث ــ باب مفتوح في الصين	٨,٠٠
٩٥	الصليب الطريق إلى التاج	٨,٠٠
٩٦	ليليان تراشر ــ أعظم العجائب المصرية	٨,٠٠
٩٧	ماري سليسور ــ قدماً إلى كالابار	٨,٠٠
٩٨	نات سينت ــ على جناحي الصلاة	٨,٠٠
٩٩	صموئيل موريس ــ رسول الإيمان البسيط	٨,٠٠
١٠٠	إريك ليدل ــ أغلى من الذهب	٨,٠٠
١٠١	رولاند بنجهام ــ في قلب أفريقيا	٨,٠٠
١٠٢	ايمي كارمايكل ــ منقذة الجواهر الثمينة	٨,٠٠
١٠٣	المرأة الخادمة.. لِمَ لا ؟ (نفذ)	١٢,٠٠
١٠٤	ويلفرد جرينفل ــ صياد الناس	٨,٠٠
١٠٥	القيادة مع الرب يسوع	٦,٠٠
١٠٦	أريد أن أكون مثمراً	٨,٠٠
١٠٧	١٠١ مبدأ للقيادة	٨,٠٠
١٠٨	العلاقات ــ مفتاح علاقات المحبة	١٠,٠٠
١٠٩	أحببتك إلى المُنتهى	٥,٠٠
١١٠	مسيرة لأجل الرب	١٢,٠٠
١١١	أيقظوا الحراس	٥,٠٠
١١٢	١٢٠ يوم صلاة مركزة لأجل النهضة	٥,٠٠
١١٣	الأحلام المنهارة والوعود المُحقَّقة	٨,٠٠
١١٤	الكتاب القادر على تحويل الأمم	١٥,٠٠
١١٥	اتبع المصلوب	١٣,٠٠
١١٦	الصلاة الموجَّهة نحو الهدف	١٣,٠٠
١١٧	رحلة في عقل إنسان	٦,٠٠
١١٨	الطريق الجميل	١٢,٠٠
١١٩	عندما تكون المعجزة هي الحل الوحيد	١٠,٠٠
١٢٠	أول ٥ دقائق بعد الموت	٧,٠٠
١٢١	العارفون اسمك	١٢,٠٠
١٢٢	التحدث بكلمة الله	١,٠٠
١٢٣	لورن كننجهام ــ إلى العالم أجمع	١٠,٠٠
١٢٤	براذر أندرو ــ عميل الله السري	١٠,٠٠

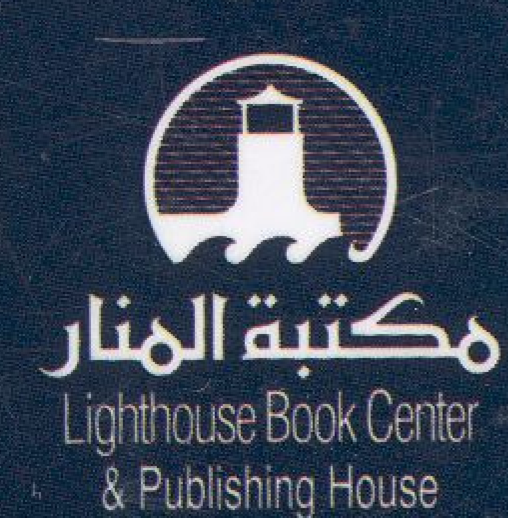
ستكون هناك دقائق أخيرة ،
خمس دقائق أخيرة
في حياة كل فرد على وجه الأرض.
لا يمكننا أن نجزم إن كنا سندرك هذا
كما لا يمكننا أن نجزم إن كنا سنمر بألم أو كرب.

ما نعلمه يقيناً هو أنه
سيكون هناك خمس دقائق أخيرة ،
ثم الموت. ثم ...؟

كتاب إيزاك برجر " أول خمس دقائق بعد الموت " قد
لمس حياة الكثيرين، إذ ندرك جميعاً بأعماقنا أن
الموت ليس النهاية ،
إذا كانت أول خمس دقائق بعد الموت هامة للغاية ،
فهل الله ليس عادلاً حتى لايحذرنا في الوقت
المناسب..
عند آخر خمس دقائق قبل الموت؟

هل تفضل أن تعرف في أي عام و في أي شهر
ستموت؟ إذا كان قلبك ملكاً لله، وإذا كنت قد قبلت
محبته وفداءه في الجلجثة، سيكون من الأفـ
تعلم متى ستموت..
دعه يأتي على غير توقع أو إعلان.

من جانب آخر، إذا لم تكن قد تصالحت
خالقك، فربما سيكون من الأفضل – ومن الـ
الزائدة – أن تُمنح تذكرة أو ربما تحذير أخـ
الموت يكمن في الانتظار. ربما يكون هذا الكـ
هذا التحذير الأخير.



www.lighthouseegypt.com